سفينة الصالحين

اسم الكتاب: سفينة الصالحين

التأليف: أ. سعد صبره نظير

تدقيق وإخراج فني: سالم عبد المعز (عمرو سواح)

رقم الإيداع: 2020 / 11237

الترقيم الدولي: 978-977-835-249-8

الناشر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع

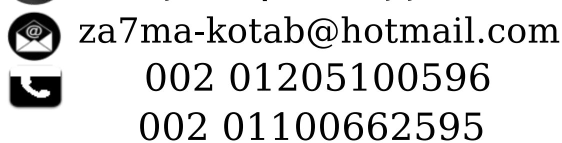
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر


Facebook


Email za7ma-kotab@hotmail.com


Tel


002 01205100596

002 01100662595



سفينة الصالحين

الكاتب

أ. سعد صبره نظير


بسم الله الرحمن الرحيم

الإخلاص

ودِدْتُ أن أكتب إليكم هذه الكلمات المضيئة في عالم اختلطت فيه الأفكار وتاه الحليم بين الاختلافات والمذاهب والآراء، حتى نسي الأصول وأمسك بالفروع، فما هذه الحيرة؟؟ وأين الطريق في عالم مليء بالأحداث؟؟ فأردت أن نذوق الإيمان قولًا وعملًا، وأن نتحسس الطريق الصحيح دون صدام ولا مجادلة.

وإني أعرض على حضراتكم بعض الصفات الإيمانية وبعض الرقائق التي تعينكم والمرءَ على الإحساس بالإيمان الذي كاد أن يُفقَد راجيًا بذلك أجر الله، وتذكرة لنفسي ولحضراتكم. سائلًا المولى -عَزَّ وَجَلَّ- أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا وأن ينفعنا به بعد الممات.

وأرجو إن تم هذا الكتاب أن يكون قائدًا للمُعتني به إلى الخيرات حاجزًا له عن أنواع القبائح والمُهلكات، وأسألكم أن تدعوا لي ولوالدي ولمشايخي وسائر أحبابنا والمسلمين أجمعين. وعلى الله الكريم اعتمادي وإليه تفويضي...

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾

[البينة: ٥]

عن أمير المُؤمنين عُمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه) متفق عليه.

عن أبي عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدَّت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا يُنجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهم أهلًا ولا مالًا، فنأى بي طلب الشجر يومًا فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهم أهلًا أو مالًا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهم حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما، فاللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه. وقال الآخر: اللهم إنه كان لي ابنة عم كانت أحب الناس إليَّ، فراودتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتُها مائة وعشرين من الدينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرتُ عليها قالت اتقِ الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ الناس إليَّ وتركتُ الذهب الذي أعطيتُها، فاللهم إن كنت

فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أَجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمَّرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أدِّ إليَّ أجري، فقلت: كل ما ترى من الإبل والبقر والغنم والرقيق هو أجرك، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، فاللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون". متفق عليه

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ". رواه مسلم

وعنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: قال رجل لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون تُصدق على سارق، فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فأصبحوا يتحدثون تُصدق اليوم على زانية، فقال: اللهم لك الحمد على زانية، لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غني فأصبحوا يتحدثون تُصدق على غني فقال : اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غني، فأُتي فقيل له :أما صدقتك على سارق فلعله أن يستعف عن سرقته، وأما زانية فلعلها تستعف عن زناها، وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما أعطاه الله ".. رواه البخاري

عن سعد ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي " رواه مسلم.

الشرح...

الإخلاص هو أصل العبادات، وإنما شُرعت النية لتمييز العبادات بعضها عن بعض، ولا بد أن يكون العمل مُخلَصًا لله ﷻ، فقليل مع الإخلاص يكفيك، فقد تكون هناك أعمال كثيرة ولكن ليس بها إخلاص فهي غير مقبولة. فأول من تُسعر بهم النار يوم القيامة شهيد وعالِم ومُتصدِق؛ فعن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت فيها؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت، قال كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد, فقد قيل, ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار" أخرجه مسلم.

فهذه يا إخوتي أعمال عظيمة ولكن لم يتحقق فيها الإخلاص فأودت بأصحابها في النار** فكل الناس هلكى إلا العالمون،، والعالمون هلكى إلا العاملون،، والعاملون هلكى إلا المخلصون،، والمخلصون على خطر عظيم**. فعليك بالإخلاص أخي المسلم في أقوالك وأفعالك، ولا تَمكُر بنفسك ولا تعجب بها ولا تعِش في حُب الظُهور؛ ففي الظُهور كسر الظُهور، وفي الرياء المقت والعذاب، فكم مُخلِصٍ بسيطٍ مُراقِبٍ لله. فالإخلاص ليس كلمة بقدر ما هو معنى من خلاله تُقبل الأعمال، وقد قال السوسي في تعريف الإخلاص: هو فقد رؤية الإخلاص، فإن من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص.

وقال يعقوب المكفوف في الإخلاص: أن تكتم حسناتك كما تكتم سيئاتك.

وقد كان معروف الكرخي يضرِب نفسه ويقول لها: أخلصي تتخلصي.

فيا أحبتي في الله، يعيش المرءُ في هذا العالم وقد يفعل الفعلة مجاملة للآخرين ويُحدِّث نفسه ويقول: فعلته لله، وهو في الأصل فعله لإرضاء الآخرين ولم تكن النية هنا لله ﷻ وإنما كان ينبغي أن يستحضر نيته في هذا العمل لله وهو أن أخدم صديقي لله، وأنفق على أسرتي لله، وأن أحج لله، وأن أُصلي لله، وأن أحيا لله، وأن أموت لله

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾

[الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إني أقف المواقف أُريد وجه الله وأحب أن يُرى موطني، فسكت عليه الصلاة والسلام حتى نزل فيه قول الله ﷻ

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠] رواه عبدان عن ابن المبارك.

فها هي ماشطة ابنة فرعون تضرب لنا أروع الأمثلة في الإخلاص **فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لما كانت الليلة التي أُسري بي فيها أتت عليَّ رائحة طيبة فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟؟ قال: بينما هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقط المدرى من يدها فقالت: بسم الله، فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله، قالت: أخبره بذلك ؟؟ قالت: نعم، فأخبرته، فدعاها فقال يا فلانة، ألك رب غيري؟ قالت نعم، ربي وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها، قالت له إن لي إليك حاجة، قال وما حاجتك؟ قالت أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا، قال: ذلك لك علينا من الحق، قال فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها يرضع وكأنها تقاعست من أجله، قال يا أماه اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت " أخرجه الإمام أحمد في المسند والطبراني .

فانظر يا أخي المسلم إلى هذا النِّبراس الطيب وإلى هذه القلوب التي عُمِرت بالخير والتي تأتيها خواطر الخير من خزائن الغيب، ماتت من أجل التوحيد ومن أجل الإخلاص فهنيئًا لها..

فهل أخلصنا في حياتنا؟ هل أخلصنا بيننا وبين أنفُسنا ظاهرًا وباطنًا؟؟ إني لأرى الوجوه جميلة فهل يا تُرى، الأصل مثل هذه الصورة أم يختلفان؟

فعلى المرأة أن تكون مُخلصة مع زوجها وفية طائعة له، وكذلك الرجل، فهيا بنا نعيش حياة بها إخلاص لله حيث المحبة والصدق والوفاء، بها كل كمائل النفس لا خداع لا أنانية لا كذب ولا رياء، نحو عالم مثالي مليء بالقيم والأخلاق والمثل العليا والصفات الطيبة

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعا * يُرْمَى بِصَـخْرٍ فيُلْقِي أطيبَ الثمر

وفي الإخلاص يقول القائل:

إن لله عـبـادًا فـطـنـَا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا * أنها ليسـت لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الأعمال فيها سفنا

فلا بد يا إخوتي أن نستحضر النية في جميع العبادات، فانوِ الوضوء لله، وأن تتوضأ امتثالًا لأمر الله، وفيها ثلاثة أشياء

١_نية العبادة

٢_نية أن تكون لله

٣_نية القيام بها امتثالًا لأمر الله

وهذا أكمل شيء في النية، كذلك في الصلاة وفي كل العبادات. والإخلاص هو كل شيء، فلا تجعل من عبادتك نصيبًا لأحد، واجعلها كلها لله ﷻ؛ حتى تكون مقبولة عند الله، حيث ثبت عن النبي فيما يرويه عن ربه أنه قال: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ".

رواه مسلم

والله الموفق

الموت

المقدمة ....

كتب على ذاته البقاء، وكتب على خلقه الفناء، أول بلا ابتداء، وآخر بلا انتهاء، لا يَفنى ولا يَبيد، وهو علام الغيوب، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وأصلِّي وأُسلم على خير خلق الله وأحب عباد الله إلى الله محمد بن عبد الله، وبعد ....

إن الناظر في العالم يجد أنه قصير الأجل، ومهما عُمِّرت من سنين فلا بد من أن الموت نازل بك، وإذا كان الأمر هكذا فلِمَ التقاعس والتخاذل؟؟ لماذا لا تكون عالي الهمة متزودًا للميعاد؟؟ فيا أخي ويا أختي لا تنتظر الموت، بل استعد له...

فكم من أُناس كانوا معنا يجلسون ويتكلمون ويضحكون!!

فأين هم اليوم؟؟ إنهم في لحود القبور، فاعلم أنه إذا حُمِلَت إلى القبور جنازة، فإنك بعدها محمول.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته * يومًا على آلة حدباء محمولُ

أتدري ماذا يقول لك النعش كل يوم؟

يقول:

انــظــر إليّ بــعــقــلــك * أنــا الــمــُعــد لــحــمــلــك
أنــا سريــر الــمــنــايــا * كم ســار مثلي بمثلك

فعليك أن تقلق لأنك ستكون وحدك في السكرات وتُعاين الملائكة ولن يكون أحد بجانبك ويرى ما ترى حتى تأنس به، بل أنت وحدك ترى وتشاهد وتعاين عالمًا آخر لم تره من قبل، فيا تُرى أتموت على حُسن خاتمة أم على سوء الخاتمة والعياذ بالله؟ فنسأل الله السلامة للجميع.

فلتحترس لنفسك أيها المسلم، وعش على أمل أن تتقدمك الملائكة وأنت في النعش محمول على الأعناق، فلو كنت صالحًا تتقدمك الملائكة وتقول لك: تقدم ولا تخف، إنك من الآمنين.

أما تعلم أنه لما نزل قوله سبحانه وتعالى

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

قالت الملائكة: الحمد لله، لسنا بأنفس، فنزل قول الله سبحانه وتعالى

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾

[الرحمن: ٢٦-٢٧]

فقالت الملائكة: الحمد لله لسنا من سكان الأرض بل نحن من سكان السماء، فنزل القول الفصل للمولى عز وجل

﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴾ [القصص: ٨٨] فجبريل عليه السلام وحملة العرش والملائكة وصالح المؤمنين والناس أجمعون والجن والطير والدواب كل سيموت، فإنه بعد النفخة الأولى يقول الله سبحانه وتعالى: يا ملك الموت من بقي من عبادي؟؟ فيقول: لم يبق إلا جبريل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش وعبدك الماثل بين يديك.

فيقول: اقبض روح جبريل وإسرافيل وميكائيل وحملة العرش، ثم يقول سبحانه وتعالى: من بقي من عبادي؟ وهو أعلم سبحانه وتعالى، فيقول ملك الموت: لم يبق إلا أنت وعبدك الماثل بين يديك. فيقول سبحانه وتعالى: مت يا ملك الموت، فيموت ملك الموت، ويقول: لو كنت أعلم أن للموت سكرات هكذا لطلبت من ربي أن يعافيني من قبض أرواح العباد.

ثم ينظر الله سبحانه وتعالى إلى الدنيا بعد أربعين سنة من الفناء ويقول لها:

يا دنيا أين أشجارك؟؟

يا دنيا أين أنهارك؟؟

يا دنيا أين الملوك وأين أبناء الملوك؟؟

أين الجبابرة وأبناء الجبابرة؟؟

أين الذين أكلوا من خيري وعبدوا غيري؟؟

لمن الملك اليوم؟؟ لمن الملك اليوم؟؟ لمن الملك اليوم؟؟ لله الواحد القهار. حديث ضعيف

فأين نكون يا إخوتي في هذا الوقت؟؟!

أتدري يا أخي المسلم ويا أختي المسلمة ماذا يقول لك الملك وأنت على خشبة الغسل؟؟

يقول لك: يابن آدم، أين صوتك الشجي؟ ما أخرسك؟؟

وأين سمعك؟ ما أصمك؟؟

أين قوتك؟ ما أفقرك؟؟

أين ريحك الطيب؟ ما غيرك؟؟

أتدري ماذا تقول وأنت خارج من بيتك في النعش؟؟ ترفرف الروح فوق النعش وتنادي وتقول: يا أهلي، يا أبنائي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي، لا تغرنكم الدنيا كما غرتني، لقد جمعت المال من الحلال والحرام فالمال لكم والحساب عليَّ..

أتدري ماذا يقول لك القبر حينما تدخله وتُوضع فيه ويتخلى عنك الجميع؟؟

يقول لك: يابن آدم، أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك؟؟ أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك؟؟ أستعددت للموت أم المنية عاجلتك؟؟ أتدري ماذا يقول لك الله الواحد القهار بعدما ينصرف عنك الأهل والخلان؟؟

يقول لك:

يابن آدم رجعوا وتركوك * وفي الــتراب دفــنــوك
ولو بقوا معك ما نفعوك * ولــم يــبــقَ لــك إلا أنــا
وأنا الحي الذي لا يموت

أما بعد ....

فأنت يا أخي غريب في هذا العالم، مسافر في رحلة أوشكت على الانتهاء فلا بد من الرجوع ولا بد من اليقظة ...

فالناس نيام فإذا ما ماتوا انتبهوا..

فـإن الـلـيـل مـهـمـا طـال * فلا بـد من طلوع الـفـجـر
والــعــمــر مــهــمــا طــال * فـلا بـد مـن دخـول الـقـبر

وصدق القائل: غدا تُوفى النفوس ويحصد الزارعون ما زرعوا

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: "أتيت رسول الله ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار: من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله؟؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أكثرهم ذكرًا للموت وأشدهم استعدادًا له، أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة" أخرجه ابن ماجه.

فالموت يا إخوتي يصل إلينا في بطون الأودية وعلى رءوس الجبال وفوق الهواء وتحت الماء وبين القلاع المنيعة والحصون المتينة ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨]

فالموت لا يخشى أحدًا، ولا يُبقي أحدًا؛ فينتزع الطفل من حضن أمه، ويهجم على الشاب الْفتيِّ، والفارس القوي، ويأخذ الرجل الكبير. فنحن يا إخوتي وُجِدنا في هذه الحياة لنتزود منها ثم نموت لنستأنف حياة ثانية هي أعلى من هذه الحياة" قال الإمام علي: من أراد مؤنسًا فالله يكفيه، ومن أراد الغني فالقناعة تكفيه، ومن أراد حُجة فالقرآن يكفيه، ومن أراد واعظًا فالموت يكفيه ومن لم يكفه كل هذا فالنار تكفيه".

وقد جاء في كتاب زهر الرياض أن يعقوب عليه السلام كان صديقًا لملك الموت، فزاره ملك الموت

فقال له سيدنا يعقوب: يا ملك الموت أجئتني زائرًا أَم لقبض روحي؟؟

قال ملك الموت: بل جئتك زائرًا.

فقال له يعقوب: لي عندك حاجة. أي طلب.

فقال ملك الموت: وما هي حاجتك؟؟

قال له يعقوب: أن تُعلِمني إذا دنا أجلي وقرب عمري.

قال له ملك الموت: سأبعث إليك برسولين أو ثلاثة.

مرت الأيام وانقضت السنون، وجاء ملك الموت ليعقوب عليه السلام مرة أخرى.

فقال له يعقوب: أجئتني زائرًا أم لقبض روحي؟؟ قال: بل جئت لقبض روحك، يا يعقوب قُضي الأمر.

فقال له يعقوب: أولست كنت أخبرتني أنك ستُرسل إليَّ برسولين أو ثلاثة؟ فقال له ملك الموت: لقد أرسلت إليك ثلاثة رسل ** بياض شعرك بعد سواده، وانحناء جسمك بعد استقامته، وضعف بدنك بعد قوته ** فهذه يا يعقوب رُسلي إلى بني آدم قبل الموت.

فتمعن معي يا أخي في قول القائل:

مضى الدهرُ والأيامُ　　　والذنبُ حاصلُ
وجاء رسولُ الموتُ　　　والقلب غافلُ
نعيمُك في الدنـيا　　　غرورٌ وحسرةٌ
وعيشك في الدنيا　　　محالٌ وباطلٌ

واستمع معي لقول أبي الدرداء وهو يقول:

أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث...

أضحكني ** مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك بملء فيه ولا يدري أأرضى الله أم أسخطه..

وأبكاني ** فراق الأحبة محمد وحزبه، وأحزنني هول المطلع عند غمرات الموت، والوقوف بين يدي الله ﷻ يوم تبدو السريرة علانية **

فانظر يا أخي إلى قول الصديق ﷺ عند الموت: حينما دخلت عليه السيدة عائشة وهو في سكرات الموت وقالت له: لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى*** إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فقال لها الصديق ﷺ: لا تقولي ذلك ولكن قولي: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ١٩ ﴾ [ق: ١٩]

وانظر إلى بلال بن رباح عند موته ماذا قال:

قالت زوجته: وامصيبتاه

فقال لها: لا تقولي ذلك، غدًا ألقَى الأحبة محمدًا وحزبه.

وهذا وصف للموت من عمرو بن العاص لابنه عبد الله، وقد كان عمرو بن العاص في عمره يتمنى أن يصف له أحد سكرات الموت.

فلما مات ﷺ جاء إلى ابنه عبد الله في المنام فقال له ابنه: صف لي الموت يا أبي وقد ذقته أنت.

فقال عمرو لابنه: يا بني كأن السماء قد انطبقت على الأرض، وكأني أتنفس من ثقب إبرة، وكأني عصفور على مقلاة زيت لا هو يموت فيستريح، ولا هو يطير فيستريح.

وقد قال حذيفة بن اليمان في سكرات موته: مرحبًا بالموت حبيبًا جاء على شوق، لا أفلح من ندم.

فيا أحبتي، لا أحد فينا يعلم متى يأتي أجله، فمن المُمكِن أن تقوم في الصباح وتذهب إلى عملك ولا تعلم هل سيكون مبيتك هذه الليلة في البيت أم في القبر؟؟

وأُذكرك بقول ابن عمر: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح..

فعليك يا أخي ويا أختي إن أصبحتما ألا تنتظرا المساء، وإن أمسيتما ألا تنتظرا الصباح..

فكم من إنسان أصبح ولم يمسِ!! وكم من إنسان أمسى ولم يصبح!! وكم من إنسان نام ولم يقم من فراشه!!

لذلك عليك أيها المسلم الكيس ألا تُطيل الأمل، بل عليك أن تكون حذرًا، حاذقًا، حازمًا

ومصداقًا لذلك أسوق إليكم هذه القصة..

**قصة وزير سيدنا سليمان **

حينما زار ملك الموت سيدنا سليمان وأخذ ينظر إلى أحد وزرائه فلما انصرف قال الوزير: من هذا يا نبي الله؟؟ فقال له نبي الله سليمان: هذا ملك الموت. فارتعدت فرائص الرجل وقال أرجوك يا نبي الله أن تأمر الريح أن تأخذني لبلاد الهند، فقال له نبي الله: وهل تفر من قضاء الله وقدره؟ قال له الرجل: أرجوك

فإني لا أحب أن أجلس في مكان رأيت فيه ملك الموت. فأمر سيدنا سليمان الريح فأخذت الوزير إلى بلاد الهند.. ثم جاء ملك الموت فقال له سيدنا سليمان: لماذا كنت تنظر إلى وزيري هكذا؟؟ فرد ملك الموت قائلًا: إن الله أمرني أن أقبض روحه في بلاد الهند، فلما جئت عندك وجدته جالسًا معك فتعجبت لذلك، فجلست أنظر إليه.. فقُلت سأذهب إلى بلاد الهند حيث أمرني الله فلما ذهبت وجدت الوزير هناك فقبضت روحه.

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾

[لقمان: ٣٤]

وهذه جملة من أحاديث المصطفى... رواها الإمام أحمد في كتاب الزهد.

قال ﷺ:"بادِرُوا بالأَعمالِ سبعًا؛ هلْ تَنَتظِرُونَ إلَا فَقْرًا مُنسِيًا، أو غِنى مُطغِيًا، أو مَرَضًا مُفْسِدًا، أوهَرَمًا مُفَندًا، أو مَوتًا مُجْهِزًا، أو الدجالَ فشرٌّ غائِبٍ يُنتظر، أو الساعةَ والساعةُ أدهَى وأَمَرُّ؟!". رواه الترمذي.

وقال ﷺ:"اثنتان يكرههما ابن آدم: الموت، والموت خير من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال تقلل من الحساب " رواه أحمد.

وكان عثمان بن عفان إذا وقف على قبر بكى حتى يبلل لحيته؛ فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكي، وتبكي من هذا (أي القبر)؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: إن القبر أول منزلة من منازل الآخرة،

فإن نُجي منه فما بعده أيسر، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه "رواه الترمذي

فصدق من قال:

تزود من التقوى فإنك لا تدري * إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكًا * وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم * وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر

وكم من صحيح مات من دون علة * وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

وكم من عروس زينوها لزوجها * وقد قبضت أرواحهم ليلة العرس

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت * أن السلامة فيها ترك ما فيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها * إلا التي كان قبل الموت يبنيها

فمن بناها بخير طاب مسكنه * ومن بناها بشر خاب بانيها

اعمل لدار غدًا رضوان خازنها * والجار أحمد والرحمن ناشيها

قصورها ذهب والمسك طينتها * والزعفران حشيش نابت فيها

وفي الختام يا أخي المسلم ويا أختي المسلمة ...

أود أن أقول: انتبه لنفسك قبل فوات الأوان

عش في عز الطاعة ولا تعش في ذل المعصية

ولا تغتر بطاعتك، فمهما وصلت النفس إلى الكمال فاتهمها بالنقصان والتقصير.....

فعش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به....

واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعز المؤمن استغناؤه عن الناس. جزء من حديث

فصاحب من تصاحب فوالله الذي على العرش استوى لن يصاحبك في قبرك إلا صاحب واحد عملك الصالح، فأحسن صحبته في الدنيا يحسن صحبتك في الآخرة.

وتذكر دائمًا أن ...

الموت كأس وكل الناس شـاربه * والقبر باب وكل الناس داخله

التوبة

المقدمة ...

كثير منا يقع في الأخطاء ومع مرور السنين والأيام تتراكم الذنوب وينسى الإنسان ما فعله، وقد تظهر له هذه الذنوب في يوم وتسبب له المشاكل الاجتماعية، ناهيك عن المشاكل الدينية، وهذه الذنوب يا إخوتي تتلخص في "كذب، غيبة ونميمة، نظرات غير بريئة، فكر غير مسئول، تراكم عبادات مثل الصلاة، غفلة عن ذكر الله، غدر وخديعة، تلصص على الدين، افتراء على الناس، سوء معاملة للجيران، هذا على سبيل التمثيل وليس الحصر.

فأردت أن تكون هناك وقفة حتى يستيقظ الإنسان المسلم من غفلته ويفيق من سُباته العميق ولا يعيش في اللامبالاة، ولكن يقوم ويستأنف حياته مع الله من جديد، يقول ﷻ في كتابه العزيز

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ [الزمر: ٥٣]

وقد نزلت هذه الآية الكريمة حينما بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه ليدعوه إلى الإسلام فأرسل إليه وحشي يقول كيف تدعوني إلى الإسلام وأنت تزعم أن من قتل أو زنى أو أشرك يلقى آثامًا ويضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا؟ وأنا صنعت ذلك كله! فهل تجد لي رخصة؟؟ فنزل قول الله ﷻ

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]

فقال وحشي هذا شرط شديد، فلعلي لا أقدر على هذا (أي العمل الصالح) فنزل قول الله ﷻ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] فقال وحشي لكن هذا بعد المشيئة

فأنزل الله ﷻ ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾

[الزمر: ٥٣]

فقال وحشي هذا نعم، فأسلم.

فهذا حديث رسول الله ﷺ يتحدث فيه عن عمومية ابن آدم لارتكاب الأخطاء وأنه ليس هناك عصمة لأحد إلا للأنبياء؛ فارتكاب الذنوب من الناس وارد ولكن الخيرية في الذين يعودون لصوابهم ولا يستغرقون بقية حياتهم في الذنوب، ويزيدون في ارتكاب أخطائهم؛ فالتوبة الصادقة هي التي لا تبقي ولا تذر، وهي التي تجُبُّ ما قبلها، وهذا كرم من الخالق ﷻ، أن يبدل السيئات إلى حسنات بشرط أن تكون التوبة صادقة. فيا أخي ويا أختي المسلمة إن أردتما أن تسبقا المجتهد الدائب فعليكم أن تكفوا عن الذنوب. لقوله ﷺ:"من سره أن يسبق الدائب المجتهد فليكف عن الذنوب." رواه أبو يعلى.

وعليك أيها المسلم أن تعلم أن هناك توبة من الصغائر وتوبة من الكبائر، ولكن لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار، فكل شيء عُصي الله به فهو كبير.

فالكبيرة كما قال علي بن أبي طلحة: هو كل ذنب ختمه الله بنار، أوغضب، أوعذاب.

وقال الضحاك: هي ما أوجد الله عليه حدًّا في الدنيا أو عذابًا في الآخرة.

وقال الحُسين بن الفضل: ما سماه الله في القرآن كبيرًا أوعظيمًا، مثل قوله

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢ ﴾ [النساء: ٢]،

﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ۝٣١ ﴾ [الإسراء: ٣١]

﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣ ﴾ [لقمان: ١٣]

والقول الفصل ما قاله سفيان الثوري: الكبائر ما كان فيه من الظلم بينك وبين العباد، والصغائر ما كان بينك وبين الله؛ لأن الله عفو كريم والدليل على ذلك أنه عن أنس بن مالك قال: قال المصطفى ﷺ: "ينادي منادٍ من قبل بُطنان العرش يوم القيامة يا أُمة محمد، إن الله ﷻ قد عفا عنكم جميعكم، المؤمنين والمؤمنات، فتواهبوا المظالم بينكم وادخلوا الجنة برحمتي" رواه أبو سعيد بن إبراهيم المقري في كتاب التبصرة، إسناده ضعيف.

وجاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المُسند "الظلم عند الله يوم القيامة ثلاثة دواوين، ديوان لا يغفر الله منه شيئًا وهو الشرك بالله ثم قرأ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾

[النساء: ٤٨]

وديوان لا يترك الله منه شيئًا وهو مظالم العباد بعضهم بعضًا، وديوان لا يعبأ الله به شيئًا وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين الله "

وقيل: الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس (أي يستحل الحرام) والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم.

فمهما كان ذنبك فلا تقنط من رحمة الله؛ فإن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، وما دمت قد تبت إلى الله توبة نصوحًا فسيغفر الله لك، ويُنسي حفظتك ذنُوبك. فعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: " إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله ﷻ حفظته ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب ". رواه الأصبهاني.

فأقبل يا أخي إلى الله، فإنه من أقبل إليه ماشيًا أقبل الله إليه مهرولًا، وأحسِن فيما بقي من عمرك ليغفر الله لك ما مضى منه، فالذي سترك تحت سقف المعصية لن يفضحك تحت جناح التوبة.

فعن شريح بن الحارث قال:"سمعت رجلًا من أصحاب النبي ﷺ يقول: قال الله ﷻ: يابن آدم قم إليَّ أمشِ إليك، وامشِ إليَّ أهرول إليك" رواه أحمد بإسناد صحيح.

فتأمل معي حديث البطاقة.. يؤتى برجل يحمل ذنوبًا كثيرة يوم القيامة، تسعة وتسعين سجلًّا، كل سجل منهم مد البصر، فتُوضع هذه السجلات في كفة، وتوضع بطاقة في كفة، فتطيش السجلات وتثقل البطاقة فلا يُعذب. أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

وتأمل معي في أمر قاتل المائة نفس ...

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:"كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُل على راهب فأتاه فقال له: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال الراهب: لا، فقتله فكمل به المائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على رجُل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال :نعم، مَن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نَصف الطريق فأتاهُ ملك الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مُقبلًا بقلبه إلى الله سبحانه وتعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط. فأتاهم ملكٌ في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين،

فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضتهُ ملائكة الرحمةِ".رواه البخاري ومسلم

فيا أخي المسلم ويا أختي المسلمة باب التوبة مفتوح ما دامت الشمس لم تخرج من مغربها...

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:"كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون" رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم

وشروط التوبة هي...

١_الندم على ما فات** فعلى القلب أن يندم على ما ارتكبه من معاصٍ وذنوب.. كبيرها وصغيرها، عظيمها وحقيرها، خطئها وعمدها، ندمًا ليس فيه ركود ولا طمأنينة؛ فالندم توبة في حد ذاته لقول النبيﷺ:"الندم توبة" رواه الحاكم.

٢_**العزم على ألا يعود مره أُخرى **فعلى المسلم العاقل الكيس أن يُجاهد نفسه بكل قوة، عازمًا على ألا يعود للذنب مرة أخرى مهما سولت لهُ نفسه، ومهما خَيل له هواه أن يأنس بالمعصية، فليهاجر بنفسه إلى الله.

٣_الاستغفار*** وليكثر من الاستغفار؛ فالاستغفار يجعل التوبة مقبولة ...فيقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ [نوح: ١٠]

والاستغفار ليس فقط باللسان بل بكل جوارح الجسد، فعلى التائب أن يقدم كل قرابين الطاعة والولاء لله سبحانه وتعالى، فكن أنت القائد

الذي يسيطرعلى زمام نفسه، فإن الله ينتظر توبتك في كل وقت وحين، فلا تيئس من رحمته ﷻ، فإنه يَبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار، ويَبسط يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها.. فيقول ﷻ

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ [هود: ٣].

وعن عبد الله بن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ قال:"التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه " رواه ابن ماجه والطبراني

وعن ابنِ عُمَر ﵄ قال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يحدثُ حديثًا لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين حتى عَد سبع مراتٍ، ولكن سمعته أكثر، سمعت رسول الله ﷺ يقول:كان الكفلُ من بني إسرائيل لا يتورع من ذنب عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجُل من امرأته ارتعدت وبكت، فقال: ما يُبكيك؟ أكرهتك؟ قالت لا، ولكنه عملٌ ما عملتُه قط، وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنتِ هذا وما فعلتِه قط؟ اذهبي فهي لك، وقال: لا والله لا أعصي الله بعدها أبدًا، فمات من ليلته فأصبح مكتوبًا على بابِه: إن الله قد غفر للكِفلِ" رواه الترمذي وحسنه.

وإليكم هذا الحديث الذي يطمئن به القلب وتسكن به

الجوارح وبه يزداد يقينك بالله ﷻ...

حدثنا أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله ﷻ " يابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أُبالي، يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أُبالي، يابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تُشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة". رواه الترمذي

فيا أخي المسلم، كلما أذنبت توجه لله وبادر بالتوبة، ولا تدع اليأس يتمكن منك؛ فرحمة الله وسعت كل شيء، وكلما ارتكبت سيئة أتبعها بحسنة حتى تمحوها ...فها هو قول المولى ﷿: عبدي إني لك محب، فبحقي عليك كن لي محبًّا. لا أصل له.

فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال:"والذي نفسي بيده لو لم تُذنِبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقومٍ يُذنِبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم". رواه مسلم

فبادر بالتوبة وجدد علاقتك بالله فإن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله هي الجنة، ولتعلم أنك كلما أقبلت على معصية فهذا إبعاد من الله لك. ولتعلم أيضًا أن العبد إذا أخطأ خطيئة ينكت في قلبه نكتة. فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال:"إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نُكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر صُقل منها، وإن زاد زادت حتى يُغلف بها قلبه، فذلك الرانُ الذي ذُكر في القرآن

﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ [المطففين: ١٤].

رواه الترمذي وصححه النسائي وابن ماجه.

فالمسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني. فتُب يا عبد الله وتُوبي يا أمة الله قبل فوات الأوان، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

وتأمل قول المولى ﷻ

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٩٩ ﴾ [الصافات: ٩٩]،،

﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ٢٧ ﴾ [النساء: ٢٧]

وقوله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٢٥ ﴾ [الشورى: ٢٥].

وأنصت إلى قول القائل: ** إلهي وقفتُ دموعي تسيل.. وقلبي ببابك باكٍ ذليل.. فذنبي كبيرٌ وزادي قليل.. فمن عليَّ بعفو جميل.. فمن عليَّ بعفو جميل.. أتيت أجر خطايا السنين .. أتيت إلى أرحم الراحمين ...وكلي اعتقاد وكلي يقين.. بأن لديك شفاء العليل.. سألتك مغفرة للذنوب.. وستر لما مسنا من عيوب.. فأنت إلهي طبيب القلوب.. وأنت الذي تقيل الذنوب.. وأنت الذي تقيل

الذنوب **

وتذكر قول الله ﷻ

﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة: ٧٤]

وقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم: ٨].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "النادم ينتظر من الله الرحمة، والمتعجب ينتظر من الله المقت، واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حُسن وسُوء عمله، وإنما الأعمال بخواتيمها، والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة، واحذروا التسويف، فإن الموت يأتي بغتة، ولا يغترن أحدكم بحِلم الله ﷻ، فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، ثم قرأ رسول الله ﷺ:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

[الزلزلة: ٧-٨].

رواه الأصبهاني

فإن الله قد طلب منك أن تُسارع بالتوبة وعدم التسويف، فقال ﷻ

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

وقال أيضًا ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾ [الحديد: ٢١].

فلماذا المسارعة ولماذا المسابقة ؟؟حتى لا تؤجل التوبة قبل فوات الأوان، فحينئذ

﴿ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

فهذا كلامه عن التوبة ﷻ، ولكنه حينما تكلم عن الرزق والسعي قال: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك: ١٥].

فانظروا الفرق بين المسارعة والمسابقة والمشي؛ فسارع إلى الله قبل فوات الأوان وهَلُم إلى ربك تأنس بالحياة.

وتمعن في قول رسول الله ﷺ حينما أتاه أبو طويل شطب الممدود وقال: "أرأيت من عمل الذنوب كلها ولم يترك منها شيئًا، وهو في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة إلا أتاها، فهل لذلك من توبة

؟؟ قال: فهل أسلمت ؟؟ قال: أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. قال: تفعل الخيرات وتترك السيئات فيجعلهن الله لك خيرات كلهن، قال: وغدراتي وفجراتي؟؟ قال: نعم، قال: الله أكبر، فما زال يكبر حتى توارى (أي اختفى عن أعين الناظرين إليه)." رواه البزار والطبراني

وعن أبي ذر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "من أحسن فيما بقي غُفر له ما مضى، ومن أساء فيما بقي أُخذ بما مضى وما بقي. رواه الطبراني

أتدري يا أخي أن الله ﷻ يفرح بتوبة العبد فرحة عظيمة، ليس لأجل حاجته إلى أعمالنا وتوبتنا؛ فالله غني عنا ولكن لمحبته ﷻ للكرم فإنه يحب أن يعفو، وأن يغفر، أحب إليه من أن ينتقم ويؤاخذ..

فسارع وتُب وتذكر قوله ﷻ

﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

[النور: ٣١]

وقوله ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٨]

فلا تجعل شيئًا يحول بينك وبين رحمة الله، وكن أنت قائد نفسك إلى جنة الرحمن برحمته، وقبول توبتك.

وخير ختام مع الحديث القدسي الذي جاء في صحف إبراهيم للمولى ﷻ:

(عبدي، انظر إلى السماء وارتفاعها، وإلى الأرض واتساعها، وإلى الجبال وشموخها، وإلى البحار وأمواجها، الكل يشهد بجلالي، ويقر بكمالي، ويعلن بشكري، ولا يغفل عن ذكري. عبدي، أذكرك وتنساني، وأسترك ولا تخشاني، ولو أمرت البحار لأغرقتك في معينها، ولو أمرت الأرض لابتلعتك في بطنها. ولكن أؤخرك إلى أجل أجلته وإلى وقت أقته، ولا بد لك ولكل نفس من الورود عليَّ والوقوف بين يدي. أُذكرك أفعالك وأعدُّ عليك أعمالك حتى إذا أيقنت بالبوار وأدركت أنك من أهل النار أوليتك غفراني، ومنحتك رضواني، وقلت لك لا تحزن فقد غفرت لك الذنوب والأوزار ومن أجلك سميت نفسي العزيز الغفار).

فاجلس مع نفسك وافتح صفحة جديدة كلها أمل ومجاهدة، وكلها رجوع الى الله، ففروا إلى الله، فوالله ستجد ربًّا غفورًا رحيمًا.

قرأنا وسمعنا عن شخصيات قد أفسدت في الأرض، وشخصيات قد أصلحت وكان لها الأثر الطيب في نفوس الناس والمجتمع، وقد مات هؤلاء وهؤلاء، فهنيئًا للذين تابوا وأصلحوا، ويا ندمًا وحسرة على الذين ماتوا ولم يتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى. فأنقذ نفسك من الآن، فما هي إلا لحظات تنغمس في المعصية وتفرح بها، وتمرالسنون، وكلما تذكرت هذه المعصية جاءك الكدر والضيق. فبدلًا من أن تعصي الله اجعلها في طاعة الله، ولا تكن من

الذين يدخلون تحت قول الله ﷻ:

﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾ [آل عمران: ٣٠]

فعش يا أخي ويا أختي ويا بني، في عز الطاعة، ولا تعش في ذل المعصية.

والله الموفِّق.

الصلاة

المقدمة...

الصلاة نور، والصدقة بُرهان، والقُرآن حُجة لك أوعليك. فإذا كان هناك أمرعادي يشغلك فإنك تكلم صاحب هذا الأمر وسط الناس وتناقشه، أما إذا كان الموضوع خاصًّا فإنك تستدعيه إليك أو تذهب أنت إليه. ولله المثل الأعلى، فقد استدعى الله ﷻ رسوله إلى السماء السابعة إلى سدرة المنتهى، وفرض عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة في رحلة الإسراء والمعراج، فيوافق الرسول الكريم ثم يعود فيمر على سيدنا موسى فيقول له سيدنا موسى ماذا فرض عليك ربك؟ فيقول النبي: فرض علي في اليوم والليلة خمسين صلاة، فيقول سيدنا موسى: لقد جربت الناس قبلك، ارجع إلى ربك واسأله التخفيف، فيرجع ﷺ إلى ربه ويسأله التخفيف فيحط عنه عشرًا لتصبح أربعين، ثم يمر بسيدنا موسى فيقول له: لقد حط الله عني عشرًا، فيقول له: ارجع إلى ربك واسأله التخفيف فقد جربت الناس قبلك فإن أُمتك لا تستطيع، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأُمتك، فرجع النبي فوضع الله عنه عشرًا، فما زال بين الله وبين موسى حتى وصلت خمس صلوات، فرجع النبي إلى موسى فقال له: بم أُمرت؟ قال النبي ﷺ: أُمرت بخمس صلوات كل يوم. قال: إن أُمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله

التخفيف إلى أُمتك، قال النبي ﷺ :سألت ربي حتى استحييت، لكن أرضى وأُسلم.

قال: فلما جاوزتُ نادى منادٍ: أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي " رواه البخاري

بدأت معكم إخوتي بكيفية فرض الصلاة، وكيف كانت، ولأهميتها تم استدعاء النبيﷺ، ولما فرضت الصلاة قال الصحابة: أوتينا مفاتيح الغيب.

والآيات في ذلك كثيرة..... حيث قال ﷻ

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

وقال ﷻ ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾

[النساء: ١٠٣]

وقوله ﷻ ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وإليك أخي القارئ جملة من الأحاديث: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ: "بني الإسلام على خمس؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا" رواه البخاري

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: "مفتاح الجنة الصلاة، ومفتاح الصلاة الطهور". رواه أحمد

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خمس صلوات افترضهن الله عز وجل، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن، كان له على الله عهد أن يغفر له، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه" رواه أبو داود.

وعن عبد الله بن قُرط عن النبي صلى الله عليه وسلم: " أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله" رواه الطبراني في الأوسط.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: "من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا، ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وأُبي بن خلف ". رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: قد ذهب أهل الدثور بالدرجات العلا والنعيم المقيم، فقال: وما ذاك؟ قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق، فقال عليه الصلاة والسلام: أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله !! قال: تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة. قال أبو صالح: فرجع

فقراء المهاجرين إلى رسول الله فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء". رواه مسلم

وعن عُمَارَةَ بنِ رُوَيْبَةَ ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، يعني الفجر والعصر". رواه مسلم

وفي حديث آخر: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة". رواه مسلم

وفي حديث آخر: "من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان". رواه الطبراني والبزار.

وإليكم أحبتي هذه القصة ...

ذكر ابن حجر الهيتمي في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر عن بعض السلف أنه دفن أختًا له، فسقط منه كيس فيه مال في قبرها ولم يشعر به حتى انصرف الناس، ثم تذكره في الطريق، فرجع إلى قبرها فنبشه فوجد القبر يشتعل عليها نارًا، فرد التراب، ورجع إلى أمه باكيًا حزينًا فقال: يا أماه، أخبريني عن أختي وما كانت تعمل. قالت: وما سؤالك عنها؟ قال: يا أماه، وجدت القبر يشتعل عليها نارًا، فبكت وقالت: يا ولدي، كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها.

فهذا يا أحبتي مجرد تهاون في الصلاة، فما بالنا بتارك الصلاة؟! إنها مصيبة كبيرة أن يترك المسلم الصلاة، فكيف تكون مسلمًا ولا تصلي؟! وكيف تكون مسلمًا ويناديك ربك في اليوم خمس مرات ولا يرق قلبك؟! فإذا نظرنا إلى الصحابة والتابعين نجد العجب العجاب. شيء لا يصدقه عقل، كأنه خيال، لكنه في الحقيقة واقع....

ناهيك أخي المسلم وأختي المسلمة عن خشوعهم في الصلاة، فانظر إلى هذا النموذج حينما سُئل حاتم الأصم عن صلاته فقال: إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذي أريد الصلاة فيه، وأقعد حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتي وأجعل الكعبة أمام حاجبي، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأظنها آخر صلاتي، ثم أقوم بين الخوف والرجاء وأُكبر تكبيرًا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعًا بتواضع وأسجد سجودًا بتخشع وأتبعها بالإخلاص، ثم لا أدري أقبلت مني أم لا؟؟

فانظر للخاشعين في الصلاة ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون: ٢] ويقال إنه إذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدُّرِّيِّ فتقول لهم الملائكة: ما كانت أعمالكم؟؟ فيقولون: كنا إذا سمعنا الأذان قمنا إلى الطهارة لا يشغلنا غيرها، ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فتقول لهم الملائكة: ما كانت أعمالكم؟؟ فيقولون: كنا نتوضأ قبل الوقت، ثم تحشر طائفة

وجوههم كالشمس فتقول لهم الملائكة: ما كانت أعمالكم؟؟ فيقولون: كنا نسمع الأذان في المسجد.

وقال عثمان ﵁: أحب من الدنيا ثلاثًا: إطعام الطعام، وإفشاء السلام، وركعات بالليل والناس نيام.

وروي عن ابن عباس أنه قال: قال داود ﵇ في مناجاته: **إلهي من يسكن بيتك؟؟، وممن تتقبل الصلاة؟؟ فأوحى الله إليه: يا داود، إنما يسكن بيتي وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتي، وقطع نهاره بذكري، وكفَّ نفسه عن الشهوات من أجلي، ويطعم الجائع، ويؤوي الغريب، ويرحم المصاب، فذلك الذي يضيء نوره في السماوات كالشمس، إن دعاني لبيته، وإن سألني أعطيته، أجعل له في الجهل حِلمًا، وفي الغفلة ذكرًا، وفي الظلمة نورًا، وإنما مثله في الناس كالفردوس في أعلى الجنان، لا تيبس أنهارها ولا تتغير ثمارها.

بعد هذا العرض أخي، أما زلت مصممًا ومصرًّا على العناد وعلى الهروب؟؟ أما زلت مصممًا على عدم الوقوف مع النفس؟؟ هل مات الضمير الديني؟؟ ألا توجد بداخلك نفس لوامة تلومك على هذا التقصير؟؟ ألم تنتبه أخي في الله؟؟

عد يا أخي إلى رشدك، وعد إلى المحافظة على الصلاة، ثم عد إلى الخشوع في الصلاة، ولا تُهمل ولا تُقصر، وجاهد نفسك وجاهد الشيطان وجاهد الهوى؛ فوالله سيندم الجميع.

المؤمن يندم، والكافر يندم، المؤمن يندم لأنه لم يزد من الأعمال الصالحة، والكافر يندم على أنه لم ينطق الشهادتين ولم يَعُدْ إلى رشده ويؤمن بالله.

إن الله ﷻ أعدَّ لك أماكن وإقامات وقصورًا في الجنة، وذلك من رحمته بخلقه

فحي على جنات عدن فإنها * منازلُنا الأُولَى وفيها المُخيَّمُ

وجاء في الأثر أن امرأة جاءت إلى سيدنا موسى عليه السلام وقالت له: يا نبي الله، لقد زنيت وقتلت ابني من الزنى، وأريد أن أتوب، فقال لها موسى: اذهبي يا امرأة بشؤمك حتى لا تنزل علينا نار من السماء فتحرقنا جميعًا، فذهبت المرأة وهي حزينة باكية نادمة على ما اقترفت، لما قاله لها سيدنا موسى، وهي التي تابت إلى الله بقلبها، فعاتبه الله فيها لماذا ترد التائبة يا موسى؟؟ ألم تعلم من هو أشد منها شرًّا؟ فقال موسى عليه السلام: وهل هناك أشد من هذه الزانية القاتلة؟؟ فقال: نعم، فقال موسى: من يا رب؟؟ فقال ﷻ: تارك الصلاة. لا أصل له.

واقرأ قول الله ﷻ ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ ﴾ [مريم: ٥٩].

ويقول ابن عباس في تفسير هذه الآية: ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية، ولكن أخَّروها عن وقتها، فاسمع معي لقول الله ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ﴾ [الماعون: ٥]

وقد سئل الرسول في هذه الآية فقال: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، والويل وادٍ في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره.

ويقول ﷺ:"ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم حساب، ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس، رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله ﷻ وأمّ قومًا وهم به راضون، ورجل أذن في مسجد ودعا إلى الله ﷻ ابتغاء وجه الله، ورجل أُبتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة". أخرجه الترمذي

وعن النبي ﷺ أنه قال:" من صلى لله أربعين يومًا الصلوات في جماعة، يُدرك التكبيرة الأولَى كُتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق ". أخرجه الترمذي

وقال رسول الله ﷺ:" حبب إليَّ من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة". أخرجه الترمذي

وكان علي بن أبي طالب إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلوَّن وجهه، فقيل له: ما لك يا أمير المؤمنين؟؟ فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها.

فيا أخي المسلم، ما من بقعة يذكر الله سبحانه وتعالى عليها بصلاة أو ذكر إلا افتخرت هذه البقعة على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله إلى منتهاها إلى سبع أرضين، وما من أحد يقوم فيصلي إلا تزخرفت له الأرض، ويقال: ما من منزل ينزل فيه قوم إلا أصبح

ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم.

وأوحى الله ﷻ إلى موسى عليه السلام، يا موسى إذا ذكرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك، وكن عند ذكري خاشعًا مطمئنًّا، وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك، وإذا قمت بين يدي فقم قيام العبد الذليل، وناجني بقلب وجل، ولسان صادق.

فتارك الصلاة يموت عطشًا ولو سُقي بماء البحار كلها، ويسود وجهه عند الموت، ويسلط الله عليه في قبره شجاعًا أقرع يطوقه ويعذبه في قبره، وينهش لحمه وعظمه ودمه.

وقد جاء في رحلة الإسراء والمعراج أن رسول الله ﷺ وجد أناسًا توضع رءوسهم على صخرة وترضخ بالحجارة، كلما رُضخت _ أي كُسرت_ عادت كما كانت، لا يفتر عنهم ذلك من شيء _ أي أن العذاب لا ينقطع عنهم _ فقلت: من هؤلاء يا أخي يا جبريل؟؟ فقال: هؤلاء الذين تثاقلت رءوسهم عن الصلوات المكتوبة.

ولقد مر الإمام علي على المقابر فأنشد قائلًا:

ما لي وقفتُ على القبور مُسلِّمًا * قبر الحبيب فلم يرد جوابي
أحبيبُ ما لك لا تجيب مناديًا؟؟ * أمللت بعدي خلة الأصحاب؟؟
قال الحبيب: وكيف لي بجوابكم؟؟ * وأنا رهين جنادل وتراب
وتساقطت تلك الثنايا لؤلؤًا * ما كان أجملهم لرد خطابي
وتساقطت تلك العيون على الثرى * فلطالما نظرت بهم أصحابي
وتساقطت تلك الأنامل لؤلؤًا * ما كان أجملهم لخط جوابي

فانظر يا أخي إلى الصلاة بعين قلبك ولا تجعلها كبيرة عليك في أدائها حتى لا يصدق فيك قول الله ﷻ:

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ﴾ [البقرة: ٤٥]. وأخيرًا وليس بآخر،

أدعو الله دائمًا أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يبصرنا بعيوبنا، وأن يحسن لنا الخاتمة، وأن يجعلنا مداومين على الصلاة. فما أجمل المحافظة عليها. "بشر المشائين في الظلمات بالنور التام يوم القيامة". رواه أبو داود

فمن صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله. رواه مسلم.

ومن صلى الفجر في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم قام فصلى ركعتين، ثم انقلب إلى أهله، كتب الله له حجة وعمرة تامة تامة، بنص حديث النبي ﷺ. صحيح الترغيب

وآخر ما أوصى به الرسول قبل مماته الصلاة. الصلاة وما ملكت أيمانكم.

فعن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم، فحانت الصلاة فجاء المؤذن إلى أبي بكر فقال: أتصلي بالناس فأقيم؟ فقال: نعم، فصلى أبو بكر فجاء رسول الله والناس في الصلاة، فتخلص حتى وقف في الصف فصفق الناس، وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فلما أكثر الناس التصفيق التفت فرأى رسول الله ﷺ فأشار إليه رسول الله أن

امكث مكانك، فرفع أبو بكر ﵁ يديه فحمد الله على ما أمره به رسول الله من ذلك ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف وتقدم رسول الله فصلى، فلما انصرف قال: يا أبا بكر، ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟ فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله، فقال رسول الله: ما لي رأيتكم أكثرتم التصفيق؟ من رابه شيء في صلاته فليسبح فإنه إذا سبح التفت إليه وإنما التصفيق للنساء. صحيح البخاري

الصدق

المقدمة....

الحمد لله رب العالمين وصلاة وسلامًا على من لا نبي بعده، أحبتي في الله، إن الصدق صفة محمودة، اتصف بها الأنبياء والمرسلون، فتخيل معي لو أن المجتمع كله صادق هل فكرت في هذا؟؟ هل فكرت أيضًا كم مرة كذبت في اليوم؟ هل أنت في حديثك مع الناس صادق فعلًا من الباطن والخارج؟ فإن كنت صادقًا في أقوالك وأفعالك فاحمد الله؛ فإنه توفيق من الله لك، وإن كان في حديثك كذب وفي باطنك كذب فكيف تعالج نفسك؟؟؟ عوِّد نفسك دائمًا على الصدق، فلمَ الكذب؟؟ فأنت تكذب على نفسك قبل أن تكذب على الآخرين.

واعلم يا أخي أن الصدق ليس مجرد كلمة بقدر ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فيحتاجه المرء في حياته لينهي رحلته على صواب. فمن الممكن أن تكذب ولكن إلى متى تكذب؟ فلو فكرت في نفسك بعد الكذب لوجدت نفسك منافقًا؛ لأن هناك حدًّا فاصلًا بين المؤمن والمنافق.

فالمنافق له علامات لو توافرت فيه علامة واحدة من هذه العلامات لصار منافقًا، وأول هذه العلامات هو الكذب، وهو موضوع خطير. عكس الصدق هو الكذب، فإما أن تكون صادقًا أو كاذبًا، والفيصل في ذلك قول الرسول ﷺ: " آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإن صام وصلى

وزعم أنه مسلم". رواه مسلم

وفي حديث آخر: " أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا؛ إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر". ومعنى ذلك أنك مسلم تصلي وتصوم وتزكي وتحج، ووسط هذا كله تكذب! فما هذه المفارقة الغريبة؟! وروى مالك أنه قيل يا رسول الله، أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: نعم، قيل: أيكون المؤمن بخيلًا؟ قال: نعم، قيل: أيكون المؤمن كذابًا؟ قال: لا.

لا يجتمع الإيمان والكذب في مؤمن أبدًا، وتلا:

﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥ ﴾

[النحل: ١٠٥]

فالصدق كلمة تشمل عموم الدين، بمعنى أن تصلي صادقًا، وأن تعامل الناس بصدق، وأن تؤدي عملك بصدق، وأن تكون صادقًا في حياتك ظاهريًا وباطنيًا، ولا تكون كالذي قال فيه الشاعر:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ منك كما يروغ الثعلبُ.

وقد وصف الله ﷻ في كتابه المنافقين بأنهم في الدرك الأسفل من النار حيث قال ﷻ:

ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥ ﴾

[النساء: ١٤٥]

فهيا بنا نتعرف على الصدق بوضوح

قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾

[التوبة: ١١٩]

وقال ﷻ: ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥]

فالصدق معناه مطابقة الخبر للواقع، وإليكم جملة من الأحاديث تعينكم على الصدق.

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا". متفق عليه.

فيقوم بعض الناس ببعض الكلام الكاذب من أجل أن يضحك الناس، وقد جاء في الحديث الوعيد على هذا

فقال رسول الله ﷺ:"ويل لمن حدث وكذب ليضحك به القوم، ويل له ثم ويل له"

وهذا وعيد على أمر سهل عند كثير من الناس، فكلنا نتكلم ونمزح ونكذب في مزاحنا ولكن الأمر ليس بهين؛ فالكذب كله حرام، وكله يهدي إلى الفجور، ولا يستثنى منه شيء إلا في ثلاثة مواطن: "في الحرب، وفي الإصلاح بين الناس، وفي حديث المرأة زوجها وحديثه إياها" صحيح البخاري

بل قد يصل الأمر أحيانًا مع بعض الناس بأن يحلف كاذبًا في البيع والشراء ليأكل أموال الناس بالباطل

فالصدق ليس صدق حديث بل صدق معاملة أي ليس كلامًا فقط بل فعل وتطبيق

وقد قال الإمام علي: حفظت من رسول الله ﷺ " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة" رواه الترمذي.

قال رسول الله: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما". متفق عليه

وإليكم قصة في الصدق....

خرج أبو يزيد البسطامي مع أصحابه لطلب العلم، فقبل أن يترك البلد قالت له أمه: يا بني، أوصيك بالصدق فلا تكذب أبدًا، وأعطته أربعين دينارًا فخرج مع أصحابه، وبينما هم في الطريق خرج عليهم اللصوص وأخذوا ونهبوا كل ما في القافلة فلما وصلوا إليه قالوا له: هل معك شيء يا رجل؟ فقال: نعم، معي أربعون دينارًا. فتركوه لشأنه يحسبون به جنونًا لأنه من المعروف ألا تقول للسارق معي كذا، فذهبوا إلى كبيرهم فقال لهم: هل أتيتم بكل ما في القافلة؟؟ قالوا: نعم، إلا رجلًا واحدًا، سألناه عما معه فقال: معي أربعون دينارًا فتركناه لشأنه، قال كبيرهم: ايتوني به، فذهبوا وأحضروه، فلما وقف أمام كبير اللصوص سأله: هل معك شيء يا رجل؟؟ قال: نعم، معي أربعون دينارًا، قال: وأين هي؟؟ فأخرجها

أبو يزيد من جيبه وأعطاها له، فقال له كبير اللصوص: أمجنون أنت يا رجل؟؟ أترشد عن نقودك بنفسك، فقال له أبو يزيد: لما أردت الخروج من بلدي عاهدت أمي على الصدق، فأنا أخاف أن أخون عهد أمي، فقال له كبير اللصوص: ويحك يا رجل، أتخاف أن تخون عهد أمك، ونحن لا نخاف أن نخون عهد الله؟! تبنا على يدك يا رجل. فتابوا جميعًا وحسنت توبتهم وردوا كل ما أخذوه للقافلة.

فعليك أخي المسلم وأختي المسلمة بالصدق، فإن رأيت في الصدق هلكة ففيه النجاة، وإياكم والكذب فإن رأيتم فيه النجاة ففيه الهلكة" رواه ابن أبي الدنيا ورواته ثقات.

وقال الشاعر:

عَوِّد لسانك قولَ الصدق تحظَ به * إن اللسان لما عودتَ معتادُ

وما سمي أبو بكر الصديق بالصديق إلا لكثرة صدقه، فاستمع إلى ما أعده الله له في الآخرة.

أراد ملَك من الملائكة الكرام أن يطوف بالعرش ويأتي بآخر الجنة، فقال: يا رب أريد أن أطوف بعرشك، فقال الله ﷻ له: لن تستطيع، فألح الملك الكريم على الله في الطلب، فأعطاه الله مائة ألف جناح، وفي كل جناح قوة مائة ألف ملك، وأعطاه مائة ألف سنة ليطوف بالعرش ويأتي بآخر الجنة، فطار الملك وانقضت المدة، ولم يأتِ بآخر الجنة، فجلس أمام جنة المأوى يبكي، فخرجت حورية وقالت له: ما يبكيك أيها الملك؟؟ فقال: سألت

الله وليتني ما سألته، فأعطاني كل ما سألته من القوة والمدة لآتي بآخر الجنة وانقضت المدة ولم آتِ بآخرها، لذلك جلست أبكي فقالت له الحورية: أتدري أيها الملك؟ إنك لم تقطع إلا جزءًا واحدًا من مائة ألف جزء من نصيب أبي بكر في الجنة.

حقًّا، رجال يستحقون أن يذكروا إلى وقتنا هذا. فانظر إلى صدق أبي بكر في الصحبة حينما دخل الغار مع النبي في الهجرة، فقد كان يخاف على النبي أكثر من نفسه؛ فكان يمشي أمامه تارة وهم في طريقهم إلى الغار، وتارة يمشي من خلفه، وتارة عن يمينه وتارة عن شماله، فيقول له النبي ﷺ: لماذا تفعل كل هذا يا أبا بكر؟؟ فيقول: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك، وأذكر الرصد فأمشي أمامك، فإن متُّ أنا يا رسول الله فنفس واحدة ماتت، أما إن متَّ أنت يا رسول ماتت الأمة، ودخل رضي الله عنه الغار قبل النبي وقام بإصلاحه وتنظيفه وشق ثوبه وسد جميع الثقوب التي في الغار إلا ثقبًا واحدًا بقي فألقمه برجله _أي سده_ ورسول الله نائم على فخذ الصديق فتأتي حية وتلدغ أبا بكر في رجله، فانظر معي لم يتحرك أبو بكر ولم يصرخ خشية أن يزعج الرسول الكريم، وتحمل آلام السم من أجل صدق الصحبة، ولكن الدموع تغلبه بدون صوت فتنزل على خد النبي فيستيقظ النبي ﷺ ويقول: ما بك يا أبا بكر؟ فيقول له: لدغتني حية يا رسول الله، فقال له النبي: أين لدغتك؟ فقال: في رجلي يا رسول الله، فتفل النبي حيث لدغ فشفي في الحال.

فانظر إلى الصدق في الصحبة قولًا وعملًا، فبعض الناس في أيامنا هذه يصاحبك من أجل غرض دنيوي. أعاذنا الله وإياكم من مثل هذه الصحبة.

ويقول النبي ﷺ: "التاجر الصدوق في ظل العرش يوم القيامة". البخاري

ونذكر في ذلك أنه في عهد سيدنا عمر بن الخطاب كان رضي الله عنه يمر في شوارع المدينة ليلًا يتفقد أحوال الرعية، فسمع امرأة تقول لابنتها اخلطي اللبن بالماء، فقالت لها ابنتها: لكن أمير المؤمنين منع الغش، فقالت لها أمها: إن عمر لا يرانا، فقالت لها ابنتها: إن لم يكن عمر يرانا فرب عمر يرانا، فبكى عمر رضي الله عنه ووضع علامة على هذا الباب وفي الصباح أحضر هذه الفتاة وأحضر أولاده وقال: من يتزوجها؟ فرفضوا، فقال إن لم يتزوجها أحد منكم سأتزوجها أنا، فتزوجها سيدنا عاصم بن عمر رضي الله عنهما.

وروى أحمد أن رجلًا قال: يا رسول الله، ما عمل الجنة؟؟ قال: الصدق، إذا صدق العبد بر، وإذا بر آمن، وإذا آمن دخل الجنة، قال: يا رسول الله وما عمل النار؟ قال: الكذب، إذا كذب العبد فجر، وإذا فجر دخل النار".

فاللسان الأخرس يا أخي المسلم خير من لسان ينطق بالكذب، ويكفي في ذم الكاذبين قوله سبحانه وتعالى

﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٠]

وقوله ﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [آل عمران: ٦١].

وقوله ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الزمر: ٦٠].

فليس الصدق قاصرًا على القول فقط، بل يتناول النية والإرادة، وأول الصدق مجانبة الكذب في جميع الأقوال والأفعال، ويدخل فيه الوفاء بالوعد.

روى أبو داود بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: " أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًّا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه".

وانظر إلى الصدق في معاملة الأبناء

عن عبد الله بن عامر قال: "دعتني أمي ورسول الله قاعد في بيتنا، فقالت: ها أعطيك، فقال لها رسول الله: ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرًا، فقال لها رسول الله: إنك لو لم تعطيه شيئًا كُتبت عليك كذبة" رواه أبو داود والبيهقي

وعن أسماء بنت يزيد قالت: يا رسول الله، إن قالت إحدانا لشيء تشتهيه لا أشتهيه فهل يعد ذلك كذبًا؟؟ قال إن الكذب يكتب كذبًا حتى تكتب الكذيبة كذيبة " رواه أحمد وابن أبي الدنيا.

أما عن الصدق في العمل فإن الله ﷻ يقول:

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]

ويقول النبي ﷺ:"إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه".

فعلى الطبيب والمعلم والمهندس والعامل والطالب والمسئول أن يتقن كل منهم عمله على أكمل وجه، ولا يقصر فيه حتى ننهض بمجتمع واعٍ لا يتخبط فيه الجهل ولا يهز أركانه، بل تكون سواعده قوية بأبنائه الصادقين المحافظين عليه، وليس المخربين فيه.

فيا أخي ويا أختي، عليكما بالتفاني في العمل، ولا تنظر إلى العائد المادي قليلًا كان أو كثيرًا، ولكن انظر إلى صدق ضميرك ومراقبة الله لك، فإن الله اختارك لهذا فكن على قدر الاختيار.

فالإسلام يدعونا إلى العمل وينهانا عن الكسل والتراخي، فإن العمل الصادق شرف للإنسان، به يرقى المجتمع وتعلو الأمم.

وإليكم جملة من الأقول عن الصدق....

قال ابن عباس:

** أربع من كن فيه فقد ربح: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر**

وقال بشر بن الحارث:

من عامل الله بالصدق استوحش من الناس

وقال أبو سليمان:

اجعل الصدق مطيتك، والحق سيفك، والله ﷻ غاية طلبك

وقال رجل لحكيم:

ما رأيت صادقًا!! فقال له: لو كنت صادقًا لعرفت الصادقين

وقال يزيد بن الحارث:

** إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فهذا النصف، وإذا كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور**.

وختامًا، أوحى الله ﷻ إلى موسى أني إذا أحببت عبدًا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه؟ فإن وجدته صابرًا اتخذته وليًّا وحبيبًا، وإن وجدته جزوعًا يشكوني إلى خلقي خذلته ولا أبالي. فإنه من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات جميعًا وكراهة إطلاع الخلق عليها.

قيام الليل

المقدمة ...

الحمد لله الذي وفق الصالحين لقيام الليل، وأصلي وأسلم على رسول الله وصحبه الكرام.

وبعد ...

إن قيام الليل يسيرٌ على من يسَّره الله عليه، فما أجمل أن تقف بين يدي الله في الليل والناس نائمون!! فما هذه الروعة!! وما الذي دفعك إلى هذا وحملك على ذلك؟؟ إنه الأُنس بالله، فما أجمل أن تخلو وحدك في الليل تناجي ربك وتطلب منه وتعتذر إليه وتدعوه بكل ما في خاطرك!! والله إن السماء لتفرحن بك.

لمَّا سُئل أحد الصالحين: لماذا تكون وجوه قائمي الليل بيضاء؟؟ رد قائلًا: لأن الله ألبسهم نورًا من نوره. نعم، إنه لشرف المؤمن.

وقيام الليل يدل على صدقك مع الله، وأن العلاقة التي بينك وبين ربك صادقة، فتجد نفسك في سعادة، ولا تعرف ما هو السبب. فقم يا أخي من الليل؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم. وإن قيام الليل يطرد الداء من الجسد، فهل أنت منهم؟

لو سألت نفسك كم مرة في هذا العام او في الأعوام السابقة قمت من الليل، وتفكرت في ظلمة القبر، وذهبت وتوضأت

وصليت؟؟ كم مرة شغلك هذا الأمر؟؟ وإلى متى أنت شارد؟؟ فقيام الليل محبة من الله إليك.

كحل عيونك بالسهر، وأسرج جوادك للسفر، واعلم أن مصاحبة النبيين في الجنة غالية الثمن، فمن أراد الصحبة فعليه بدفع الثمن، ومن أراد السيادة فعليه بترك الوسادة..

يعيش المرء طوال النهار بين مشاغله وحاجاته، فكان ولا بد من وقت يجلس فيه المرء يناجي ربه بعد انتهاء نهاره، وهذا الوقت يكون بالليل، أقصد بذلك قيام الليل.

وهناك عدة أسباب تيسر عليك قيام الليل، منها: تقسيم الليل إلى أجزاء؛ جزء أول، وجزء ثان، وجزء ثالث، حيث إن فضائله لا تحصى، ويكفيك أن الله ﷻ أوحى إلى بعض الصديقين** أن لي عبادًا من عبادي أحبهم ويحبونني، ويشتاقون إليَّ وأشتاق إليهم، ويذكرونني وأذكرهم، وينظرون إليَّ وأنظر إليهم، فإن حذوت طريقهم أحببتك، وإن عدلت عنهم مقتك، قال: يا رب، وما علامتهم؟ قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي الراعي غنمه، ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها، فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا إليَّ أقدامهم، وافترشوا إليَّ وجوههم، وناجوني بكلامي، وتملكوا إليَّ بإنعامي، فبين صارخ وباكٍ، وبين متأوه وشاكٍ، بعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشتكون من حبي، أول ما أعطيهم أقذف من نوري في قلوبهم، فيخبرون عني كما أخبر عنهم، والثانية: لو كانت السماوات

السبع والأرضون السبع وما فيهن في موازينهم لاستقللتها لهم، والثالثة: أقبل بوجهي عليهم، أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه؟؟

أما عن الآيات القرآنية

فقال ﷻ ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [السجدة: ١٦]

وقال ﷻ ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر: ٩]

وقال ﷻ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٤].

أما الأحاديث

فقوله ﷺ: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد. فإن استيقظ وذكر الله ﷻ انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان" متفق عليه من حديث أبي هريرة.

وفي الصحيح عن جابر أن النبي ﷺ قال:"إن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله ﷻ خيرًا إلا أعطاه إياه". رواه مسلم

وقال ﷺ: "رحم الله رجلًا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء". أخرجه أبو داود وابن ماجه.

وقال ﷺ: "رحم الله امرأة قامت الليل فصلت، ثم أيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء".

وقوله ﷺ :"من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات" رواه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة.

وإليكم جملة من الآثار والأخبار...

قال الحسن رحمه الله: ما نعلم عملًا أشد من مكابدة الليل، ونفقة هذا المال، فقيل له: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهًا ؟؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورًا من نوره.

وكان عبد العزيز بن وراد إذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمد يده عليه ويقول: إنك للين، ووالله إن في الجنة لألين منك، ولا يزال يصلي الليل كله.

وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله، فإذا كان في السَّحَر قال: إلهي ليس مثلي يطلب الجنة، ولكن أجرني برحمتك من النار.

وقال الربيع: بِتُّ في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة، فلم يكن ينام في الليل إلا يسيرًا.

وقال أبو الجويرية:

لقد صحبت أبا حنيفة ﷺ ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض.

ويقال إن مالك بن دينار ﷺ بات يردد هذه الآية حتى أصبح

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال المغيرة بن حبيب:

رمقت مالك بن دينار يتوضأ بعد العشاء، ثم قام إلى مصلاه، فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول: حَرِّم شيبة مالك على النار، إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الرجلين مالك؟؟ وأي الدارين دار مالك؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر.

ويقول مالك بن دينار ﷺ:

سهوت ليلة عن وردي ونمت فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون، وفي يدها رقعة وقالت لي أتُحسن تقرأ؟؟ فقلت: نعم، فدفعت إليَّ الرقعة فإذا فيها:

أألهتك اللذائذ والأماني * عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مُخلدًا لا موت فيها * وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيرًا * من النوم التهجد بالقرآن

ومن الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل (الميسرات الظاهرية)

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق، إلا على من وفِّق للقيام بشروطه. وله أربعة شروط:

الأول** ألا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام.

الثاني ** ألا يُتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تُتعب الجوارح فإن ذلك مجلبة للنوم.

الثالث **ألا يترك القيلولة بالنهار لأنها سُنة للاستعانة على قيام الليل.

الرابع **ألا يُكثر الأوزار بالنهار فإن ذلك يُقسي القلب، ويحول بينه وبين أسباب الرحمة.

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد، إني أبيت مُعافًى، وأحب قيام الليل، وأعد طهوري، فما بالي لا أقوم الليل؟؟ فقال: ذنوبك قيدتك.

قال بعض العلماء: كم من أكلة منعت قيام ليلة!! وكم من نظرة منعت قراءة سورة!!

وأما عن الميسرات الباطنية فمنها:

الأول** سلامة القلب من الحقد على المسلمين، وبعده عن البدع وعن فضول هموم الدنيا.

الثاني** خوف غالب ملزم للقلب، مع قصرالأمل فإنه إذا فكر

في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه

كما قال طاوس: ** إن ذكر جهنم طير نوم العابدين

وقال ذو النون المصري رحمه الله:

منع القُرانُ بوعـده ووعيـده * مُقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن المَلِك الجليل كلامه * فرقابهم ذلت إليه تخضُّـعا

وتأمل قول القائل:

يـا طويـل الرقـاد والغفلات * كثرة النوم تورث الحسـرات
إن في القـبر إن نـزلـت إليـه * لرقـادًا يطول بعد الممات
ومهـادًا ممهـدًا لـك فيـه * بذنوب عملت أو حسنات
أأمنـت البيـات من ملـك * الموت؟؟ وكم نال آمنًا ببيات!!

وردد قول ابن المبارك:

إذا الليـل أظلـم كـابـدوه * فيسـفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الأمن في الدنيا هجوع

الثالث ** أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار

الرابع ** الحب لله وقوة الإيمان بأنه في قيامه لا يتكلم بحرف إلا وهو يناجي ربه، وأن تلك الخطرات من الله ﷻ خطاب معه، فإذا أحب الله ﷻ أحب لا محالة الخلوة به، وتلذذ بالمناجاة، فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام.

تقسيم الليل (له سبع درجات)

الأولى **إحياء الليل كله، وذلك شأن الأقوياء

الثانية** أن يقوم نصف الليل

الثالثة** أن يقوم ثلث الليل

الرابعة** أن يقوم سدس الليل أو خمسه

الخامسة ** أن يقوم من أول الليل إلى أن يغلبه النوم

السادسة ** وهي الأقل، أن يقوم مقدار أربع ركعات، أو ركعتين

السابعة ** القيام وقت السحر فلا يدركه الصبح نائمًا، ويقوم بطرف الليل

فيا أخي المسلم ويا أختي المسلمة، قوما من الليل ما استطعتما؛ فالسُّنة للمؤمن أن يجتهد في قيام الليل بما يسر الله له، في أول الليل أو في وسطه أو في آخره.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: " كان النبي يقوم من الليل ويتهجد حتى تتفطر قدماه". لأن الدم ينزل فيها فتنفطر، فقيل: كيف تفعل هذا

وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر من ذنبك؟؟ فقال: "أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا". متفق عليه

وعن حذيفة ﵁ قال: "صليت مع النبي ذات ليلة فافتتح بالبقرة، فقلت يركع عند المائة، ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلًا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد، ثم قام طويلًا قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريبًا من قيامه". رواه مسلم

وعن عمر بن االخطاب قال: قال النبي ﷺ :" من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل". رواه مسلم

قال الحسن: كانت لي جارية رومية وكنت أحبها كثيرًا وفي ليلة من الليالي افتقدتها من على الفراش فقمت أبحث عنها فوجدتها ساجدة وتقول: إلهي بحبك لي إلا وقد غفرت لي، فقلت لها: لا تقولي ذلك ولكن قولي بحبي لك اغفر لي، فلما سلمت من الصلاة قالت: يا سيدي، بحبه لي أخرجني من الشرك إلى الإسلام، وبحبه لي أيقظ عيني وكثير من خلقه نيام.

ولما سئل عثمان بن عفان ماذا تحب من الدنيا؟ قال: أحب من الدنيا ثلاثًا **إطعام الطعام، وإفشاء السلام، وركعات بالليل

والناس نيام**

أما عن علي ﷺ فقد صلى الفجر، وبعدما سلم من الصلاة أخذ يقلب يده ويقول: لقد رأيت أصحاب محمد فلم أر اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون شعثًا صفرًا غبرًا بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجدًا وقيامًا، يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا ذكروا الله فمادوا كما يميد الشجر في يوم الريـح، وهملت أعينهم بالدموع حتى تبلل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين.

فلا تغفل عن قيام الليل، ولا تتكاسل، فالأيام تمضي والليالي تمر فاجعلها تمضي بالطاعة، فالنفس إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

فالأرض لا تنسى جباه الساجدين، والليل لا ينسى أنين العابدين، والخد لا ينسى دموع التائبين، والله يعلم أننا رغم المعاصي مؤمنون.

أسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد.

الخوف من الله

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، خلق فسوى، وقدر فهدى، وأصلي وأسلم على خير البرية محمد وصحبه، فاللهم اجمعنا بهم في الفردوس الأعلى.

يأتي الخوف من الله من المعاصي والذنوب التي يقدم عليها المرء، فلا بد من حاجز يحجزك عن هذه المحارم والمعاصي، وهذا الحاجز هو الخوف من الله، فإن الصالحين والصالحات السابقين كانوا يقولون: طيَّر ذكر جهنم النوم من أعيننا. فتذكر يا أخي أنك ستقف بين يدي الله ﷻ ولن تستطيع أن تهرب أو تفر، ومهما فررت أو هربت فإنك إلى الله راجع، فلا بد أن تخشى الله وتهابه فلا تنظر إلى صغر الذنب الذي قمت به ولكن انظر إلى عظمة من عصيت.

فإن أفئدة الأنبياء كان يسمع لها أزيز من شدة الخوف كأزيز المرجل، وذلك من شدة خوفهم من الله فهم يعلمون قدره.

أما نحن فنتخبط، وننسى، ونستهزئ، فلا بد أن تغير من نفسك، وليكن قلبك خائفًا خاضعًا مراقبًا للأعمال التي تقوم بها، وهذب النفس واجعل الخوف من الله شعارك.

يقول ﷻ: "من خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، ومن أمنني في الدنيا خوفته يوم القيامة. فيا أحبتي، يجب على المسلم أن يخشى الله وأن يخافه. فالخوف هو انقباض القلب من خشية الخالق، وكان النبي ﷺ إذا تغير الهواء أو هبت ريح يتغير وجهه، فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج، كل ذلك خوفًا من عذاب الله.

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي عليه السلام سأل جبريل: ما لي لا أرى ميكائيل يضحك؟؟ فقال جبريل: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار". رواه أحمد

وقال أبو الدرداء: كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن إذا قام إلى الصلاة من مسيرة ميل خوفًا من ربه".

وقال المسيح عليه السلام: معاشر الحواريين، خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على المشقة ويباعدان من الدنيا، بحق أقول لكم أن أكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل.

أما عن الصحابة والتابعين والسلف في خوفهم من الله فنذكر ما يلي ...

روي أن أبا بكر الصديق قال لطائر: ** ليتني مثلك يا طائر، ولم أُخلق بشرًا.

وقال عثمان: ** وددت أني إذا مت، لم أُبعث

وقالت عائشة: ** وددت لو كنتُ نسيًّا منسيًّا

أما عن عمر بن الخطاب فكان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشيًّا عليه، وكان يُعاد أيامًا.

وقد أخذ ﵁ يومًا تبنًا من الأرض (أي قشة صغيرة) ويقول: يا ليتني كنت هذه التبنة، يا ليتني لم أكن شيئًا مذكورًا، يا ليتني لم تلدني أمي، وقد كان في وجهه ﵁ خطان أسودان من الدموع، فلما قرأ قوله ﷻ:

﴿ إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ ﴾ [التكوير: ١]،

وانتهى إلى قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ ﴾ [التكوير: ١٠]

خر مغشيًّا عليه.

ومر يومًا ﵁ بدار فسمع رجلًا يقرأ من داخل الدار فوقف يستمع، فلما بلغ قول الله ﷻ:

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ ﴾ [الطور: ٧-٨]

نزل ﵁ عن حماره، واستند إلى حائط ومكث زمانًا، ورجع إلى منزله فمرض شهرًا يعوده الناس، ولا يدرون ما مرضه.

وقال عمران بن حصين: ** وددت أن أكون رمادًا تنسفني الرياح في يوم عاصف.

وقال أبو عبيدة بن الجراح: **وددت لو أني كبش، يذبحني أهلي فيأكلون لحمي، ويحسون مرقي.

وكان الحسين إذا توضأ اصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟

وقال موسى بن مسعود: ** كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وورعه.

وقد كان المسور بن مخرمة لا يقوى أن يسمع شيئًا من القرآن لشدة خوفه، وقد كان يُقرأ عنده الحرف أو الآية فيصيح الصيحة فما يعقل أيامًا، حتى أتى عليه رجل من خثعم فقرأ عليه

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾

[مريم: ٨٥-٨٦]

فقال: أنا من المجرمين، ولست من المتقين، أعد عليَّ القول أيها القارئ، فأعادها عليه فشهق شهقة فلحق بالآخرة.

ومر الحسن البصري بشاب وهو مستغرق في ضحكه جالس مع قومه فقال له: يا فتى، هل مررت على الصراط، قال: لا، فقال: أتدري إلى الجنة تصير أم إلى النار؟؟ قال: لا، قال: فما هذا الضحك؟؟ فما رُئِيَ ذلك الفتى بعدها ضاحكًا.

وقال معاوية لضرار بن ضمرة: صف لي عليًا، قال: ألا تعفيني، قال: لا، بل صفه، قال: ألا تعفيني، قال :لا أعفيك، قال: أما أنه لا بد فإن عليًا كان بعيد المدى، واسع العلوم والمعارف، شديد القوى في ذات الله ونصرة دينه، يقول فضلًا، ويحكم عدلًا، يتفجر

العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفيه تأسفًا وحزنًا، إذ هذا فعل المتأسف الحزين، ويخاطب نفسه بالمزعجات والمقلقات، يعجبه من اللباس ما خشن، إذا تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين ويحب المساكين، وكان يقول: آه من قلة الزاد وطول السفر، ووحشة الطريق، فبكى الجميع ..

وقال ابن مسعود: " إن رسول الله تلا

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥]

فقال: إن النور إذا دخل القلب انفسح، فقيل: يا رسول الله، هل لذلك من علامة تعرف؟ قال: نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل النزول". رواه الحاكم والبيهقي في الشعب.

وإليك أخبار السابقين، وكيف كانت شدة خوفهم من الله؟

روي أن زرارة بن أوفى صلى بالناس الغداة، فلما قرأ

﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝ ﴾ [المدثر: ٨]

خر مغشيًّا عليه، فحُمل ميتًا.

ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال: عظني يا يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين اعلم أنك لست أول خليفة يموت، فبكى، ثم قال: زدني، قال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب

إلا ميت، ثم قال: زدني يا يزيد، فقال: يا أمير المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل، فخر مغشيًّا عليه..

ورئى الفضيل يومًا وهو يمشي فقيل: إلى أين؟؟ فقال: لا أدري، وكان يمشي والهًا من الخوف، وقال ذر بن عمر لأبيه عمر بن ذر: ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد فإذا تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب؟؟ فقال: يا بني ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة.

وحُكي أن قومًا وقفوا بعابد وهو يبكي فقالوا: ما الذي يبكيك يرحمك الله؟؟ قال: قُرحة يجدها الخائفون في قلوبهم، قالوا: وما هي؟؟ قال: روعة النداء بالعرض على الله ﷻ.

وقال صالح المري: قدم علينا ابن السماك مرة فقال :أرِني شيئًا من بعض عجائب عبادكم، فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له فاستأذنا عليه، فإذا برجل يعمل خوصًا، فقرأت عليه

﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [غافر: ٧١-٧٢]

فشهق الرجل شهقة وخر مغشيًّا عليه، فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر فدخلنا عليه فقرأت الآية نفسها فشهق شهقة فخر مغشيًّا عليه، فذهبنا واستأذنا على ثالث فقال: ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا، فقرأت

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ١٤]

فشهق شهقة فبدا الدم من منخريه، وجعل يتشحط في دمه حتى يبس فتركناه على حاله وخرجنا. فأدرته على ستة أنفس كلما دخلنا على أحد تركناه وهو مغشي عليه، فأتيت به إلى السابع فاستأذنا فإذا امرأة من داخل الخص تقول: ادخلوا، فدخلنا فإذا بشيخ فانٍ جالس في مصلاه، فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا فقلت بصوت عالٍ: ألا إن للخلق غدًا مقامًا. فقال الشيخ: بين يدي من؟ ويحك، ثم بقي مبهوتًا فاتحًا فاه شاخصًا بصره يصيح بصوت له ضعيف: آه آه آه، فانقطع ذلك الصوت فقالت زوجته: اخرجوا فإنكم لا تنتفعون به الساعة.

فلما كان بعد ذلك سألت على القوم فإذا ثلاثة قد أفاقوا، وثلاثة قد لحقوا بالله ﷻ، وأما الشيخ فقد بقي ثلاثة أيام على حاله مبهوتًا متحيرًا لا يؤدي فرضًا، ولما كان بعد ثلاثة عقل. ذكره الغزالي في الإحياء.

وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد، كيف أصبحت؟ قال: بخير، قال: كيف بخير؟ فتبسم الحسن وقال: تسألني عن حالي؟؟ ما ظنك بناس ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر، فانكسرت سفينتهم فتعلق كل إنسان منهم بخشبة، على أي حال يكون؟ قال الرجل: على حال شديدة. قال الحسن: حالي أشد من حالهم.

وأذكركم هنا بمقام الإحسان، وفيه أن النبي ﷺ كان جالسًا في المسجد هو وأصحابه إذ طلع عليهم رجل شديد بياض الثوب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه من

الجالسين أحد، فجلس أمام النبي ووضع ركبته بركبتي النبي ووضع يديه على فخذيه، وقال له: ما الإسلام؟؟ فقال ﷺ: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا، فقال له: صدقت. فتعجب الجالسون يسأله ويصدقه، فقال له: وما الإيمان؟؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، فقال له: صدقت، قال له: وما الإحسان؟ فقال له النبي: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك، قال له: ومتى الساعة؟؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان، فقال له: صدقت. ومشى، فلما ولى قال النبي لأصحابه الجاسلين: أتدرون من هذا؟؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: إنه جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم.

فالخوف يا أحبتي هو هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره، وقيل: الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف

ولتنصت معي لكلمات حاتم الأصم ....

لا تغتر بمكان صالح، فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقي فيها آدم ما لقي، ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول العبادة لقي ما لقي، ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعان بن باعورة لقي ما لقي وكان يعرف الاسم الأعظم، ولا تغتر بلقاء الصالحين ورؤيتهم فلا شخص أصلح من النبي ولم ينتفع بلقائه أعداؤه والمنافقون..

فالخوف المحمود الصادق إخوتي هو ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ﷻ، فإذا تجاوز ذلك خاف منه اليأس والقنوط. فعانق الفقر وعاشر الصبر وعادى الهوى وعاف الشهوات

فالقلب في سيره لله ﷻ بمنزلة الطائر؛ المحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائرجيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهوعرضة لكل صائد وكاسر.

ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الخوف فينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإن غلب عليه الرجاء فسد، وقال أحدهم: أكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب؛ فالمحبة هي المركب والرجاء حادٍ والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه.

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال: " قال الله ﷻ: وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، إن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة". أخرجه ابن المبارك وابن حبان

ويقول يحيى بن معاذ: مسكين ابن آدم، لو خاف النار كما يخاف الفقر لدخل الجنة، فلو خاف النار كما يخاف الفقر لهرب من أسبابه إلى أسباب الجنة.

فهل يا ترى يا أخي تجلس مع الذين يؤمنونك أم مع الذين يخيفونك؟؟ فتعالَ نسمع إلى الحسن البصري في الإجابة على هذا السؤال...

يا أبا سعيد كيف نصنع؟؟ نجالس أقوامًا يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير _أي تزول عن مواضعها من شدة الخوف_ فقال: والله إنك إن تخالط أقوامًا يخوفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصاحب أقوامًا يؤمنونك حتى يدركك الخوف.

وفي الحديث "من بين السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه " أخرجه البخاري

وفي حديث آخر قال النبي: "لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدًا". أخرجه الترمذي

فكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه العفة والورع والتقوى والأعمال الفاضلة والتي تقرب العبد إلى الله ﷻ؟

والخوف هنا على مقامين

الخوف من الله والخوف من عذابه

فالخوف من الله هو خوف العلماء وأرباب القلوب السليمة والبصائر النافذة، العارفين من صفاته ﷻ ما يوجب الهيبة والحذر، المطلعين على سر قوله ﷻ ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

والثاني خوف عموم الخلق، وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار، وكونهما داري جزاء على الطاعة والمعصية، وضعفه بسبب الغفلة وضعف الإيمان، وتزول هذه الغفلة بالتذكر والوعظ وملازمة التفكر في أهوال يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة.

وفي الصحيحين قام رسول الله حينما نزل قول الله ﷻ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فقال: "يا معشر قريس اشتروا أنفسكم من الله، فإني لا أغني عنكم من الله شيئًا. يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئًا. يا عباس يا عم رسول الله لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية يا عمة رسول الله لا أغني عنكِ شيئًا. يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئتِ لا أغني عنكِ شيئًا". أخرجه البخاري

وقوله ﷺ: "لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه". أخرجه الترمذي والدارمي والطبراني.

ولما قرأ رسول الله ﷺ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ ﴾ [الزلزلة: ٤] قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول عملت كذا وكذا في يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها ". أخرجه أحمد والترمذي والحاكم.

وكان ابن السماك يعاتب نفسه ويقول لها: تقولين قول الزاهدين، وتعملين عمل المنافقين، ومع ذلك الجنة تطلبين أن تدخليها، هيهات هيهات، للجنة قوم آخرون، ولهم أعمال غير ما نحن عاملون.

وقال بعض السلف: لو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلًا واحدًا لخشيت أن أكون ذلك الرجل.

ولما أُحتضر سفيان الثوري في سكرات الموت جعل يبكي ويجزع فقيل له: يا أبا عبد الله، عليك بالرجاء، فإن عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أوعلى ذنوبي أبكي؟ لو علمت أني أموت على التوحيد لم أبالِ بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا. ومعناه أن الغاية الجنة إذا تحقق موته على التوحيد. فإذا كان هذا خوف العارفين مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخاف الضعفاء؟!

ولسوء الخاتمة أسباب، يتقدمها الابتداع في الدين والزنى والربا وأكل مال اليتيم والكبر والنفاق والحقد والحسد وجملة من المعاصي والصفات المذمومة، وإنما كان الابتداع في الدين سببًا في سوء الخاتمة لأن المبتدع مرتكب إثمًا وعاصٍ لله ﷻ، ولا نقول الآن هو عاصٍ بارتكاب الكبائر أو الصغائر بل نقول بأنه مصرٌّ على ما نهى الله عنه، والإصرار يعظم الصغيرة إن كانت صغيرة حتى تصير كبيرة، وإن كانت كبيرة فأعظم، ومن مات مصرًّا على المعصية يخاف عليه، ربما إذا انكشف الغطاء وعاين علامات الآخرة استفزه

الشيطان وغلبه على قلبه حتى يموت على التغيير والتبديل.

وأخيرًا أختم معكم بقول الحسن البصري رحمه الله:

إن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المدخل والمخرج. فالمراد النفاق العملي لا الاعتقادي فإن النفاق العملي هو ترك المحافظة على أمور الدين سرًّا ومراعاتها علنًا. أسأل الله ﷻ السلامة.

فكونوا من الخائفين إخوتي، فإنكم ستبلغون رحلة لن يكون أحد ونيسًا لكم غير الله، فتعرفوا إليه في الرخاء يتعرف إليكم في الشدة، فإنه من ترفه وقت العمل ندم وقت تفريق الأجور، فلا تأمن ولا تأنس بالدنيا وكن خائفًا دائمًا على نفسك، فلتجنبها المعاصي، واحترم نظر الله إليك، واحترم الملائكة التي على كتفيك، واحترم خلقك على هذه الأرض، فمن خاف الله خوف الله منه كل شيء، ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء.

أسأل الله لي ولكم السلامة في الأقوال والأفعال.

فضل ذكر الله ﷻ

المقدمة:

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلامًا على النبي المصطفى وبعد، فيا أحبتي، إن ذكر الله ﷻ من أفضل الطاعات وأحسنها، ولكن كلًّا منا يقضي ساعات طويلة في انشغالاته والأوقات تضيع منا سدى، فلم لا نذكر الله؟ فمثلًا لو ذكرت الله وأنت قائم من النوم، وأنت ذاهب إلى المسجد، وأنت في بيتك، وأنت في عملك، عقب الصلوات المكتوبات، وفي الخوف وفي الأمن وفي الرضا وفي الخلوة وبين الناس ومع نفسك، فالذي يذكر الله والذي لا يذكره كمثل الحي والميت. فاجعل لسانك دائمًا رطبًا بذكر الله، ولا تجعله أبدًا يفتر عن الذكر، فالله يحب من يذكره، فمن شغله ذكر الله عن مسألته أعطاه الله ما يعطي السائلين. فيا أخي ويا أختي إن الذي يصلي الفجر في جماعة ويجلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم يقوم فيصلي ركعتين كتب الله له حجة وعمرة تامة تامة كما حدَّث بذلك الحبيب المصطفى. فإن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها ذكر الله. وإليك أنواعًا من الذكر: فمثلًا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله هي غراس الجنة والباقيات الصالحات

فكن ذاكرًا شاكرًا واجعل لنفسك كل يوم وردًا لا يتوقف مهما حدث، وجاهد نفسك حتى تتغلب عليها، واعلم أنك لو حافظت

على أذكار الصباح والمساء وذكرت ربك في وسط النهار وقرأت شيئًا من القرآن آناء الليل مع المحافظة على الصلوات والعبادات وصلة الرحم والإحسان إلى الجار وبر الوالدين وتقديم العون للمحتاجين يكون يومك وليلك كلاهما مشرقين بذكر المولى ﷻ.

فهيا بنا نتعرف على فضل الذكر.....

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾

[البقرة: ١٥٢]

وقال سبحانه وتعالى

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨ ﴾

[الرعد: ٢٨]

وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥ ﴾

[العنكبوت: ٤٥]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥ ﴾

[الأعراف: ٢٠٥].

والآيات في ذلك كثيرة لا تحصى ولا تعد

أما عن الأحاديث ...

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:" يقول الله سبحانه وتعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا وإن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة "رواه البخاري

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:" أربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة، قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وبدنًا على البلاء صابرًا، وزوجة لا تبغيه خونًا في نفسها ولا ماله " رواه الطبراني في الكبير والأوسط

وعن حنظلة الأسدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله:" والذي نفسي بيده، لو تداومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة، ثلاث مرات" رواه مسلم

وعن أبي موسى قال: قال النبي ﷺ:" مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت" رواه البخاري

وعن معاوية رضي الله عنه قال:" إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومَنّ به علينا. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة "

رواه مسلم

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال النبي ﷺ:" كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " رواه البخاري

وعن جويرية ﵂ أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال: ما زلت على الحال التي فارقتك عليها؟ قالت: نعم. قال النبي: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته" رواه مسلم

وعن سعد بن أبي وقاص ﵁ قال:" جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلامًا أقوله. قال: قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم. قال: فهؤلاء لربي فما لي ؟؟ قال قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني". رواه مسلم

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله:" إن لله ﷻ ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله ﷎ تنادوا هلموا إلى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك. فيقول: كيف لو رأوني؟ قال:

يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا، فيقول: فماذا يسألون؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يتعوذون من النار. قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها. فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها لكانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة. قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم". متفق عليه

أما الآثار ...

فقد قال الفضيل: ** بلغنا أن الله ﷻ قال: عبدي، اذكرني بعد الصبح ساعة، وبعد العصر ساعة أكفيك ما بينهما **

قال الحسن: ** الذكر ذكران؛ ذكر الله ﷻ بين نفسك وبين الله ﷻ، ما أحسنه وأعظم أجره، وأفضل من ذلك ذكر الله ﷻ عند ما حرم الله ﷻ.

ويروى **أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله ﷻ**

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ** ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيها.

وقال رفاعة الزرقي: ** كنا يومًا نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال: سمع الله لمن حمده قال رجل وراء النبي: ربنا لك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف رسول الله عن صلاته قال: من المتكلم آنفًا؟ فقال الرجل: أنا يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم: لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أولًا ". رواه البخاري

وعن أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال للنبي عز وجل: يا رسول الله، مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، قال: قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك" رواه أبو داود والترمذي والحاكم.

فيا أحبتي في الله، الذكر يجلي القلب فنحن نهدر أوقاتًا كثيرة لا نذكر فيها الله سبحانه وتعالى بل وتشغلنا الدنيا، فيا ليتنا نغتنم هذه الأوقات ونقدر قيمتها، فإنها من العمر، والعمر يمضي ونحن في سباتنا، فنعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ. فاغتنم هذه الأوقات كما جاء في الحديث: " اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك". فالذكر يا إخوة الإسلام شيء

جميل يجعل القلب يأتنس بخالقه، فماذا لو أنك خلوت مع نفسك بربك تذكره وتتودد إليه وتطلب منه العفو والصفح والمغفرة؟ وتذكره بألوان مختلفة من الذكر سواء كانت تلاوة قرآن أو صلاة على النبي أو تحميدًا وتكبيرًا وتهليلًا! فاجعل لنفسك ساعة تناجي فيها ربك وتحاسب فيها نفسك وتراجع فيها يومك من باب حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، فكم من كلمات كثيرة كتبت علينا معاصي فيا ليتها كانت ذكرًا!! وكم من جلسات طويلة جلسناها في غير منفعة فيا ليتها كانت عِبرة!!

فافتح صفحة جديدة مع نفسك، وتدارك الذي مضى، وكفر عن سيئاتك بالاستغفار والذكر والدعاء، فقد كان النبي يستغفر ربه في اليوم سبعين مرة وفي رواية مائة مرة، وهو خير الخلق ﷺ، فما أجمل ذكر القلب! وهو نوع من أنواع الذكر لا يعرفه كثير من الناس، وهو أن تمرر لا إله إلا الله على قلبك دون أن تحرك شفتيك أو لسانك، فما أعظمه من ذكر!! وما أعظم أن تذكر الله عند المحارم أو عند المعاصي فيزجرك هذا الذكر ويبعدك عن المعصية!!

فمَـن أوقـد مصبـاح الـذكر لاحـت له الأعلام

ومَن تغرب في بادية الشوق لاحت له الخيام

فإنك يا أخي حينما تذكر الله ﷻ تبنى لك القصور في الجنة، وحينما يتوقف الذكر يتوقف البناء، فاجعل قلبك عامرًا بذكر الله واجعل بيتك عامرًا بذكره ﷻ، فمثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره كمثل الحي والميت كما ذكرنا سابقًا، فحاول أن تتلذذ بالذكر وتتمتع به، فقد سمعت السيدة رابعة العدوية رجلًا يستغفر الله بسرعة ويردد الاستغفار بسرعة فقالت له: يا هذا إن استغفارك يحتاج إلى استغفار

فاذكر الله بهدوء واعرف قدر من تذكره وتقف بين يديه

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله :" إن الله ﷻ يقول: يا عبادي كلكم مذنب إلا من عافيته، فاسألوني المغفرة أغفر لكم، ومن علم منكم أني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني بقدرتي غفرت له، وكلكم ضال إلا من هديته فسلوني الهدى أهدكم، وكلكم فقير إلا من أغنيته فسلوني أرزقكم، ولو أن حيكم وميتكم وأولكم وآخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فكانوا على قلب أتقى عبد من عبادي لم يزد في ملكي جناح بعوضة، ولو اجتمعوا فكانوا على قلب أشقى عبد من عبادي لم ينقص من ملكي جناح بعوضة، ولو أن حيكم وميتكم وأولكم وآخركم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فسأل كل سائل منهم ما بلغت أمنيته ما نقص من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بشفة البحر فغمس فيها إبرة ثم نزعها، ذلك بأني جواد ماجد، عطائي كلام، إذا أردت شيئًا فإنما أقول له كن فيكون". رواه ابن ماجه في باب ذكر التوبة.

ولتعلم دائمًا أخي المسلم أن الله منتظرك، يفرح بذكرك إياه وتوبتك له، فلا تضيع الأوقات فيما لا يجدي حتى تكتب في جملة الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

بر الوالدين

المقدمة:

أحبتي في الله، ترددت كثيرًا قبل أن أكتب في هذا الموضوع، ولكني وجدت نفسي أمسك قلمًا قلَّما أمسكت به في حياتي وشاهدت بعض السلوكيات التي أرهقت مشاعري بين شاب وأبيه، وبين فتاة وأمها، فوجدت المعاملة بين الابن وأبيه ليس فيها أدنى احترام للأبوة ولا أدنى بر للأمومة، فبعد أن يكبر الابن والبنت تكون لهم أفكار خاصة في عقولهم، وهذه الأفكار بنيت على عدة أسس: منها الشارع والمدرسة والصداقة والإعلام والتربية ذاتها.

وسبحان الله، إنه جل في علاه بعد الأمر بعبادته ﷻ جاء مباشرة الإحسان للوالدين حيث قال في كتابه العزيز

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾

[الإسراء: ٢٣].

فيا بني، إن الله ﷻكرر الأمر بالإحسان إلى الوالدين وهو البر والشفقة والعطف، ونهى عن أن يقال لهما أف، إذ هو كناية عن الإيذاء بأي نوع كان حتى بأقل أنواعه. ومن ثم ورد عن النبي ﷺ أنه قال:" لو علم الله شيئًا أدنى من أفٍّ لنهى عنه، فليعمل العاق ما

شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار". رواه الديلمي

ثم أمر ﷻ أن يقال لهما القول اللطيف وموافقة مرادهما ما أمكن لا سيما عند الكبر، فإن الكبير يصير حاله كحال الطفل لما يغلب عليه من الخرف وضعف الذاكرة، فلابد أن يتقرب المرء بما يناسب عقل أبويه إلى أن يرضيا عنه وأن تدعو لهما بالرحمة، فقد كانا يحملان آنذاك عظيم المشقة في تربيتك راجيين حياتك مؤملين سعادتك.

وإليك جملة من أحاديث النبي ﷺ...

قال النبي ﷺ:" بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم "رواه الطبراني بسند حسن

فإن الولد إذا نظر إلى والديه بالود والرحمة يكون بارًّا بهما، يقول رسول الله:"ما من ولد بار ينظر إلى والديه نظرة رحمة إلا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة، قيل: وإن نظر كل يوم مائة مرة؟ قال: نعم، الله أكبر وأطيب". رواه البيهقي

وقال ﷺ:"من سره أن يُمد له في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه"رواه أحمد.

وروي أن أبا هريرة أبصر رجلين فقال لأحدهما: ما هذا منك؟؟ قال: أبي، قال: لا تسمه باسمه ولا تمش أمامه ولا تجلس قبله " رواه البخاري

وقال ﷺ:" لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه".رواه مسلم وأبو داود.

وقيل يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال: "لو خرجت من أهلك ومالك ما أديت حقهما". رواه مسلم وأبو داود

فلا بد أن تنفق يا أخي على والديك إن احتاجا إلى ذلك؛ فإنه ليس من الإحسان والمصاحبة بالمعروف أن يموتا جوعًا والولد موسر. وفي الكشاف: شكا رجل أباه إلى النبي أنه يأخذ ماله، فدعاه، فإذا هو شيخ يتوكأ على عصا، فسأله فقال: يا رسول الله إنه كان ضعيفًا وأنا قوي وفقيرًا وأنا غني فكنت لا أمنعه شيئًا من مالي، واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني فهو يبخل عليَّ بماله، فبكى النبي ﷺ وقال: ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى، ثم قال للابن: أنت ومالك لأبيك.

ويذكر أنه جاء رجل إلى النبي وقال: يا رسول الله، إن أبي أخذ مالي فقال: اذهب فأتني بأبيك، فنزل جبريل عليه السلام على النبي فقال له: إن الله يقرئك السلام ويقول لك إذا جاء الشيخ سله عن شيء قاله في نفسه ما سمعته أذناه، فلما جاء الشيخ قال له النبي ﷺ: ما بال ابنك يشكوك، أتريد أن تأخذ ماله؟ قال: سله يا رسول الله هل أنفقته إلا على عماته وخالاته أو على نفسي؟ فقال له النبي: دعنا من هذا وأخبرني عن شيء قلتَه في نفسك ما سمعته أذناك، فقال الشيخ :والله يا رسول الله ما زال الله يزيدنا بك يقينًا، لقد قلت شيئًا في نفسي ما سمعته أذناي، فقال له النبي: قل وأنا أسمع،

قال قلت :

غـذوتـك مولودًا وعلتـك يـافعـًا * تعـل بمـا أجني عليـك وتنهـلُ
إذا ليلة ضاقتك بالسقم لم أبت * لسقمك إلا ساهرًا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي * طرقت به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها * لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي * إليها مدى ما كنتُ فيكَ أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة * كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي * فعلت كما الجار المجاور يفعل
فوافيتني حق الجوار ولم تكن * عليَّ بمالي دون مالك تبخل

قال: فأخذ النبي بتلابيب ابنه وقال: أنت ومالك لأبيك" رواه الطبراني

فلتعلم أيها الأخ المسلم والأخت المسلمة أن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر وأعظم الذنوب؛ يقول النبي في ذلك "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله ﷻ، وعقوق الوالدين" فانظر كيف قرن الإساءة إليهما وعدم البر والإحسان لهما بالإشراك بالله ﷻ.

فلتتذكر قول المولى ﷻ ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤ ﴾ [الإسراء: ٢٤].

فعليك يا أخي أن تخضع لوالديك كما يخضع العبد للسيد الفظ الغليظ وحتى إن أغضباك لا تنظر إليهما شذرًا

فالعقوق كما يكون بالقول وبالفعل يكون بمجرد النظر الموحي بالغضب والمخالفة

فقد قال النبي: "ما بر أباه من شد إليه الطرف بالغضب" رواه الطبراني في المعجم الأوسط

أي من نظر إليهما نظرة غضب وإن لم يتكلم، فبذلك لم يبرهما وما بعد البر إلا العقوق.

وتذكر أنه من عق والديه عقه أبناؤه حيث قال ﷻ

﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ [النساء: ١٢٣].

فالجزاء من جنس العمل، والبر لا يبلى، والذنب لا ينسى، وتذكر أنه بالكيل الذي تكيل به يكتال لك

فعن مالك بن ربيعة قال:" كنا عند النبي إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال: يا رسول الله، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟؟ قال: نعم، الصلاة عليهما _ أي الدعاء لهما والاستغفار لهما_ وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما، فقال الرجل: ما أكثر هذا يا رسول الله وأطيبه !! قال: فاعمل به ". رواه أبو داود وابن ماجه.

قال النبيﷺ:" إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول: أنى لي هذا؟؟ فيقال: باستغفار ولدك لك". سنن ابن ماجه

ويروى عن أبي بردة رضي الله عنه قال:" أتيت المدينة فأتاني عبد الله بن عمر فقال: أتدري لم أتيتك؟؟ قلت: لا، قال: سمعت رسول الله يقول: من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده، وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذلك ". صحيح الجامع

وقالﷺ:" احفظ ود أبيك ولا تقطعه فيطفئ الله نورك " رواه الطبراني في الأوسط

وقالﷺ:"من قضى دين والديه بعد موتهما وأوفى نذرهما ولم يستتب لهما كتب بارًا وإن كان عاقًا لهما". رواه ابن عساكر

وقالﷺ:" كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين، فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة قبل الممات". رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

وروى مسلم أنه "جاء رجل إلى رسول الله يستأذنه في الجهاد، فقال: أحي والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما جاهد".

وروى الطبراني وأحمد عن عبد الله بن أبي أوفى قال:" كنا جلوسًا عند النبي فأتاه آتٍ فقال: شاب يجود بنفسه فقيل له: قل أشهد أن لا إله إلا الله فلم يستطع، فقال: كان يصلي؟؟ قال: نعم فنهض رسول الله ونهضنا معه فدخل على الشاب فقال له: قل لا إله إلا الله فقال :لا أستطيع، قال: لِمَ؟ قيل: كان يعق أمه. فقال

الرسول: أحية والدته؟ قالوا: نعم، قال: ادعوها، فدعوها فجاءت فقال: هذا ابنك؟ قالت: نعم، قال: أرأيت لو أججت نار ضخمة فقيل: إن شفعت له خلينا عنه وإلا أحرقناه بهذه النار أكنت تشفعين له؟ قالت: يا رسول الله، إذًا أشفع، قال: فأشهدي الله وأشهديني أنك قد رضيتِ عنه، قالت: اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني فقال له الرسول: يا غلام قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، فقالها الغلام، فقال النبي: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار

فيا إخوة الإسلام اتقوا ربكم وبروا آباءكم، فمن سره أن يحظى برضا الله ﷻ ويطمع في الحصول على ثواب الدنيا والآخرة فليبر والديه وليتفانَ في الإحسان إليهما وإدخال السرور عليهما

وختامًا نسأل المولى ﷻ أن يوفقنا لمراضيه وأن يجنبنا مناهيه وأن يجعل مستقبل حالنا خيرًا من ماضيه.

□

حقيقة الدنيا

أحمد الله ﷻ، وأصلي وأسلم على رسوله الكريم

ماذا تريد من الدنيا؟؟ وهل دام غيرك فيها لتدوم أنت فيها؟؟ فالدنيا نفسها زائلة

﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ ﴾ [الحاقة: ١٤].

فمهما جمعت من الدنيا فالكفن ليس له جيوب

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]

المهم أن تحدد ماذا تريد منها ولماذا جئت فيها وماذا ستأخذ معك.

إذا مات ابن آدم - كما جاء في الحديث - يتبعه ثلاثة؛ أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع الأهل والمال ويبقى العمل. فما هو العمل الذي جهزته للآخرة؟؟ وهل أنت راض على هذه الأعمال؟؟ وهل الإيمان الذي بداخلك تستطيع أن تواجه به ملك الموت أو فتان القبر؟؟

حاول أن تخفف الحمل من الذنوب أو تتخلص منها، ولا تجعل الدنيا تضحك عليك بمنظرها وخضرتها، ولكن اعبد الله فيها ولا تنسَ نصيبك منها وأحسن كما أحسن الله إليك، ولكن إذا نظرت بعين البصيرة تجد أن الدنيا ساعة فاجعلها طاعة وأن

النفس طماعة فلتعودها القناعة فيا ليتنا نعتبر ويا ليتنا نأخذ هذا الأمر على محمل الجد.

فيا أخي المسلم وأختي المسلمة، تعالوا لنتعرف على حقيقة الدنيا ... وأود أن أقول لكم إن الدنيا هي مزرعة للآخرة، وهي قنطرة توصلنا للآخرة، فمنا من يعيش فيها وهوغافل عن واجباته وارتباطه بربه ومنا من يستعد بالأعمال الصالحة

وكن على يقين بأن الدنيا يمكنها أن تخدعك ولكن يمكنك أنت أن تخدعها فلا ترتبط بالدنيا ارتباط الباقي وعش في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، فإنه مهما طال البقاء فيها فلا بد من تركها، فلا تخدعنك الدنيا بملذاتها وشهواتها الزائلة، فالعمر مهما طال فلا بد له من نهاية.

يقول المولى جل في علاه

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠ ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال ﷻ ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩ ﴾

[الشعراء: ٨٨-٨٩].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٤].

فيا أحبتي في الله، يوضح لنا المولى عَزَّ وَجَلَّ حقيقة الدنيا وقصر مدتها وزوال ملذاتها وأنها لعب ولهو تشغل صاحبها عما ينفعه في آخرته وأن الآخرة آتية لا محالة، إما عذاب شديد وإما مغفرة من الله ورضوان، ثم ذكر أنها متاع، فلتعلم أن الدنيا حقيرة بالنسبة للآخرة، وإن كان الأمر كذلك فقد حث الإسلام على المبادرة بالخيرات بفعل الطاعات وترك المحرمات وتحصيل الثواب والدرجات، فمن اشتغل في الدنيا بطلب الآخرة فهي له بلاغ إلى ما هو خير منه، والناس في الدنيا طائفتان طائفة فطنة علمت أن الدنيا ظل زائل ونعيم حائل وأضغاث أحلام بل فهموا أنها نعم في طيها نقم وعرفوا أن هذه الحياة إنما هي طريق للحياة الباقية فرضوا منها باليسير وقنعوا فيها بالقليل فاستراحت أبدانهم وسلم لهم دينهم وكانوا عند الله من المحمودين، فلم تشغلهم دنياهم عن طاعة مولاهم، بل جعلوا النفس الأخير وما وراءهم نصب أعينهم وتدبروا ماذا يكون مصيرهم وفكروا كيف يخرجون من الدنيا وإيمانهم سالم لهم؟؟ وما الذي يبقى معهم منها في قبورهم، وما الذي يتركون لأعدائهم من الأزواج والأولاد في الدنيا، ومن لا يغني من الله شيئًا.

ويقول المولى ﷻ ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ ﴾ [الشعراء: ٨٨].

يبقى عليهم وبالًا ونكالًا، أدركوا كل هذا فتأهبوا للسفر وأعدوا للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا، وقدموا الزاد للمعاد وخير الزاد التقوى، خافو فأمنوا وأحسنوا ففازوا.

وصدق القائل حين قال:

إن لله عبادًا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا * أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا * صالح الأعمال فيها سفنا

وطائفة أخرى جهلاء عمي البصائر، لم ينظروا في أمرها ولم يكتشفوا سوء حالها ومآلها برزت لهم بزينتها ففتنتهم، فإليها أخلدوا، ولها اطمأنوا حتى ألهتهم عن الله وشغلتهم عن ذكر الله وطاعته

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ۝١٩ ﴾

[الحشر: ١٩].

أقاموها فهدمتهم، واغتروا بها من دون الله فأذلتهم، أكثروا فيها الآمال، وأحبوا طويل الآجال، ونسوا الموت وما وراءه من الأهوال والمخاوف، فخاب أملهم، وضل سعيهم، وخسروا الدنيا والآخرة.

فاعلم يا أخي المسلم أن الدنيا ليست دار مقر؛ إنما هي دار ممر، ولها يجمع من لا عقل له، ماذا تفعل بمال كثير تتركه خلفك؟؟ أخذ كل الوقت منك لجمعه، فانتبه لنفسك قبل فوات الأوان، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

أما عن الأحاديث ....

قال رسول الله ﷺ: "يا عجبًا كل العجب للمصدق بدار الخلود، وهو يسعى لدار الغرور" رواه ابن أبي الدنيا مرسلًا

وقال ﷺ:" الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له ". رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي بسند جيد

وقال عليه الصلاة والسلام:" لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا ". رواه ابن أبي الدنيا مرسلًا.

وقال عليه الصلاة والسلام:" قال الشيطان لعنه الله: لن يسلم مني صاحب المال من إحدى ثلاث أغدو بهن وأروح؛ أخذه من غير حله، وإنفاقه في غير حقه، وأحببه إليه فيمنعه من حقه ". رواه الطبراني بسند حسن

وقال بعض الحكماء:

كانت الدنيا ولم أكن فيها، وتذهب ولا أكون فيها، فلا أسكن إليها؛ فإن عيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها منها على وجل، أما بنعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو منية قاضية

وقال أبو الدرداء: ما من أحد إلا وفي عقله نقص، وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرحًا مسرورًا، والليل والنهار دائبان في هدم عمره، ثم لا يحزنه ذلك، ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد، وعمر ينقص، فما عيبة الدنيا بأبلغ من فنائها وتقلب أحوالها، وهو أدل دليل على نقصانها وزوالها فتتبدل صحتها بالسقم، ووجودها بالعدم، وشبابها بالهرم، ونعيمها بالبؤس، واجتماعها بفرقة الأحباب، فما لها عند الله وزن ولا قدر ولا خلق الله خلقًا فيما بلغت أبغض إليه منها وما نظر إليها منذ خلقها مقتًا لها، ولم يجعل خيرها ثوابًا للمطيعين ولا بلاءها عقابًا للعاصين، ولقد عرضت على نبينا ﷺ مفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها، كره أن يحب ما أبغض خالقه أو يرفع ما وضع مليكه فزواها عن أنبيائه وأحبابه اختيارًا وبسطها لأعدائها اعتبارًا واغترارًا فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنما أكرم بها ونسي ما صنع الله برسوله حين شد الحجر على بطنه.

وقد قال رسول الله:" لو كانت _يعني الدنيا_تعدل عند الله مثقال حبة من خردل لم يعطها إلا لأوليائه وأحبابه من خلقه ". رواه الطبراني

وقد صدق القائل:

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن * إذا لم يكن فيها مَعاشٌ لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة * وقد شبعت فيها بطون البهائم

وقال الشافعي:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها * وسـيق إلينا عـذبها وعـذابها
فلم أرهـا إلا غرورًا وبـاطلًا * كمـا لاح في أرض الفلاة سرابهـا
وما هي إلا جيفة مسـتحيلة * عليها كلاب قد هممن اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سـلمًا لأهلها * وإن تجتـذبهـا نـازعتـك كلابهـا

وجاء في بعض الكتب المنزلة:

يابن آدم، لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا محسن إليك.

وسئل بعض العارفين: ما هي الدنيا التي ذمها الله في القرآن التي ينبغي للعاقل أن يتجنبها؟؟ فقال: كل ما أصبت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت منها تريد به الآخرة فليس منها.

وقال الحسن: نعمت الدارالدنيا كانت للمؤمن، وذلك أنه عمل قليلًا وأخذ زاده منها إلى الجنة، وبئست الدار الدنيا كانت للكافر، وذلك أنه ضيع لياليه وكان زادها إلى النار.

وقالﷺ:" ما طلعت شمس إلا بعث بجانبيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى". رواه أحمد، ورواته رواة الصحيح، وابن حبان والحاكم بسند صحيح.

وقالﷺ:" قد أفلح من أسلم ورزق كفافًا وقنعه الله بما آتاه". رواه مسلم والترمذي وابن ماجه

وعنهﷺ:" إنه مر على شاة ميتة فقال: أترون هذه الشاة هينة على أهلها؟ قالوا: من هوانها ألقوها، قال: والذي نفسي بيده، للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر جرعة ماء". رواه مسلم والترمذي وابن ماجه

وروى ابن ماجه أن النبي ﷺ قال:" اللهم من آمن بي وصدقني وعلم أن ما جئت به هو الحق من عندك فأقلل ماله وولده وحبب إليه لقاءك وعجل له القضاء، ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم أن ما جئت به الحق من عندك فأكثر ماله وولده وأطل عمره".

قال الحسن: من سأل الله الدنيا فإنما يسأله طول الوقوف للحساب بين يديه.

وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بني، إنك قد استدبرت الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة، فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تبعد عنها، وقال: يا بني، إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثيرون فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ﷻ، وحشوها الإيمان بالله ﷻ، وشراعها التوكل على الله ﷻ، لعلك تنجو، وما أراك ناجيًا، وكان يقول: إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها.

وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط فقال عيسى:"ما أقمتني أنت، إنما أقامني الذي لم يرض لي بظل الحائط".

وقيل لإبراهيم بن أدهم كيف أنت؟ فقال:

نرقع دنيـانـا بتمزيق ديننـا * فلا ديننـا يبقى ولا مـا نرقع
فطوبى لعبـد آثر الله ربـه * وجـاهـد دنيـاه لمـا يتوقع

فلا تركن أيها العاقل إليها، ولا تتخذها وطنًا، ولا تحدث نفسك للبقاء فيها ولا للاعتناء بها ولا تغتر بها فإنها غدارة خداعة

فيا أخي المسلم، احذر الدنيا؛ فإن ملذاتها تشغل القلب، وموجبة لطول الحبس والوقوف في ذلك اليوم الطويل للحساب والسؤال عن شكر نعيمها وكثرة التعب في تحصيلها وطلبها وحقارتها عند الله وهوانها عليه وكفى أن الله سبحانه وتعالى بيَّن حقارتها وخساستها

قيل لإبراهيم بن أدهم: بم وجدت الزهد في الدنيا ؟؟ قال بثلاثة أشياء: وجدت القبر موحشًا وليس معي مؤنس، ورأيت الطريق طويلًا وليس معي زاد، ورأيت الجبار قاضيًا وليس معي حجة ولا من يدافع عني.

ويقول أبو الدرداء:

"أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث، أضحكني مؤمل دنيا والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه، وضاحك بملء فيه ولا يدري أأرضى الله أم أسخطه.

وأبكاني فراق الأحبة محمد وحزبه وأحزنني هول المطلع عند غمرات الموت والوقوف بين يدي الله تعالى يوم تبدو السريرة علانية".

وقال رسول الله ﷺ:

" من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له، فلا يمسي إلا فقيرًا ولا يصبح إلا فقيرًا، وما أقبل عبد على الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة، وكان الله بكل خير إليه أسرع".

رواه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه.

فبعد هذا العرض أيها الأخ المسلم والأخت المسلمة لا تتبع هواك واجعل منهج الله ورسوله هو طريقك، ولا تركن إلى الدنيا فإنك تاركها ولعلك تنسى بعض ذنوبك من كثرة الأيام والليالي ولكن ابدأ من الآن علاقة جديدة تربطك بالله ولا تجعل الدنيا تشغلك عن ربك فإنها زائلة وزائل كل ما عليها وإن كانت الدنيا علقتك بها فعليك بمزاحمة الصالحين في المساجد وأهل الذكر والأصحاب الموثوق فيهم وفي دينهم ولا تكثر من الأصحاب الذين يضيعون وقتك ولكن عليك بمجالسة الصالحين، فالصحبة الصالحة هم كالنجوم إذا ضلت سفينتك في بحر الحياة أرشدوك وغدًا تحت عرش الرحمن ينتظرونك، ألا يكفيك أنهم في الله أحبوك.

فردد دائمًا في نفسك وقل: اللهم إني أستودعك حياتي فلا تجعل ربي حلوها يلهيني ولا مرها يشقيني

واعلم يا أخي أنه من قعد به القصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار

فإياك يا أخي من طول الأمل ...

حق المسلم

الحمد لله وحده، نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأصلي وأسلم على خير خلق الله وأحب عباد الله إلى الله محمد بن عبد الله ﷺ أما بعد:

فقد حثنا الله ﷻ في القرآن الكريم على الالتزام بحق المسلم، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] فالمسلم له حق على أخيه المسلم وهذا الحق قد يكون واجبًا كفائيًّا، وقد يكون مستحبًّا، وقد يكون مندوبًا. وقد حدد الرسول ﷺ هذه الحقوق في عدة أحاديث، فإليك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الموضحة لذلك.

وإليكم الآيات

قال ﷻ ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [النساء: ٨٦].

وقال ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجرات: ١١].

والآيات في ذلك كثيرة

وإليكم جملة من الأحاديث ....

عن علي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:" للمسلم على المسلم ست بالمعروف، يسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويشمته إذا عطس، ويعوده إذا مرض، ويتبع جنازته إذا مات، ويحب له ما يحب لنفسه". رواه ابن ماجه.

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال النبي ﷺ:" لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم". رواه مسلم

وعن حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال:" إن المؤمن إذا لقي المؤمن فسلم عليه وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر". رواه الطبراني في الأوسط ويعقوب

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:" إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقًّا على كل مسلم سمعه أن يقول له يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان". رواه البخاري.

وعنه ﵁ أن النبي ﷺ قال:"من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله ناداه منادٍ من السماء أن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلة". رواه الترمذي

وعن ثوبان ﵁ مولى رسول الله أن النبي ﷺ قال:" من عاد مريضًا لم يزل في خرفة الجنة، قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة؟ قال: جناها ". رواه مسلم

وعن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" أيما رجل يعود مريضًا فإنه يخوض في الرحمة فإذا قعد عند المريض غمرته الرحمة، قال فقلت: يا رسول الله هذا للصحيح الذي يعود المريض فللمريض ما له؟ قال: تحط عنه ذنوبه". رواه أحمد

وعن علي ﵁ قال: سمعت رسول الله يقول:"ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، ومن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح، وكان له خريف في الجنة". رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب.

وعن عبد الله بن عمر أنه قال: كنا جلوسًا مع رسول الله إذ جاءه رجل من الأنصار فسلم عليه ثم أدبر الأنصاري فقال رسول الله: يا أخا الأنصار كيف أخي سعد بن عبادة؟ فقال: صالح، فقال رسول الله: من يعوده منكم؟ فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر ما علينا نعال ولا خفاف ولا قلانس ولا قمص نمشي في تلك السباق حتى جئناه فاستأخر قومه من حوله حتى دنا رسول الله وأصحابه الذين معه "رواه مسلم

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله:" من أصبح منكم اليوم صائمًا؟ قال أبو بكر: أنا، قال: فمن اتبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبوبكر: أنا، قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟ قال أبو بكر: أنا،

قال: فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟ قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله: ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة". رواه مسلم

وعن جابر بن عبد الله وأبي طلحة بن سهل الأنصاري ﭬ يقولان: قال رسول الله ﷺ: " ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا في موضع ينتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته". رواه أبو داود

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي ﷺ:"على كل مسلم صدقة، قال فإن لم يجد فليعمل بيديه فينفع نفسه فيتصدق، قالوا: فإن لم يستطع أو لم ينفع؟ قال فيعين ذا الحاجة الملهوف، قالوا وإن لم يفعل؟ قال: فليأمر بالخير أو قال بالمعروف، قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: فليمسك عن الشر فإنه له صدقة "رواه البخاري

فيا أخي المسلم ويا أختي المسلمة، كل المسلمين وكل الإنسانية إخوان، فليدافع كل مسلم عن أخيه المسلم، فليرد كل منكم عن الآخر في غيبته وليعش الإنسان في هذه الحياة محبًّا لله ورسوله وللمؤمنين، وليكن نافعًا لنفسه ولبيته ولبلده ولدينه حتى يعم الخير وينتشر السلام فما أجمل أن تنام وأنت غير كاره لأحد أو حاقد على أحد أو مضمر عداوة لأحد ...

وإليك هذا الحديث يفسر لك ما أعنيه. عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال:" لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا؛ فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر"رواه أبو داود.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا مع رسول الله، فقال: يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه وقد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي مثل ذلك فطلع الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي مثل مقالته أيضًا فطلع ذلك الرجل مثل حالته الأولى، فلما قام النبي تبعه عبد الله بن عمرو فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت؟ قال: نعم، قال أنس رضي الله عنه: فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعرى وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر. قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت: يا عبد الله! لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ولكني سمعت رسول الله يقول لنا ثلاث مرات :يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت ثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك عملت كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله؟ قال: ما هو إلا ما رأيت، قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لاحد من المسلمين غشًّا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله :هذه التي بلغت بك وهي الذي لا نطيق ". رواه أحمد والبزار

والله الموفق

أهوال يوم القيامة

مقدمة:

إن يوم القيامة له أهوال عظيمة إلا من أكرمه الله ﷻ، فهل تخيلت هذا اليوم بينك وبين نفسك؟ هل أخافتك ذنوبك؟ وهل حددت مكانك وموقفك في هذا اليوم الشديد؟ إنه من شدة هذا اليوم وعظمته قال الله فيه

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ ﴾ [الحج: ١]

والعظيم حينما يصف شيئًا بالعظمة فإنه لأمر مخيف؛ لأن الله قال: شيء عظيم، وهذا وصف الله لهذا اليوم، فإذا كان وصف الله بهذه القوة والعظمة، فماذا نحن فاعلون في هذا الزحام، وفي هذا الحر، وفي هذا المشهد؟؟

فعليك أخي وأختي أن ينتبه كل منا لنفسه من الآن، وليبعدها عن المعاصي والذنوب كبيرها وصغيرها حقيرها وجليلها خطئها وعمدها، ابتعد وفر إلى الله ﷻ، واجعل الله حمايتك يوم يفر الجميع عن بعضه

﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧ ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]

﴿ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ﴾ [المزمل: ١٧]

ولكن من بين هذه المخاوف كلها فإن هناك أناسًا مكرمين، أناسًا يجلسون في ظلال العرش، أناسًا على منابر من نور، أناسًا يلبسون فوق رءوسهم تاج الكرامة، أناسًا وجوههم مبيضة، أناسًا فرحين مسرورين. وعلى النقيض، هناك أناس وجوههم مسودة، يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة.

وأناس آخرون يأخذون كتبهم بأيديهم اليسرى أي من وراء ظهورهم والعرق يلجمهم إلجامًا، إنها حقيقة ستكون لا محالة، وإنه من كمال الإيمان بالله أن تؤمن باليوم الآخر، فماذا أنت فاعل يا ترى، أمبتسم أم باكٍ؟ حزين أم خائف؟ هل فكرت في هذا كله؟ إذا كنت في كل هذا وروعة هذا اليوم وروعة النداء وعظمة هذا المشهد فبادر من الآن بالاعتذار إلى الله، وعجل بالتوبة، وأحسن إلى الخلق وكن طيبًا ودودًا، وكن خادمًا لنفسك ولبلدك ولأهلك وللمسلمين والمسلمات بل وللإنسانية قاطبة، اجعل الحب شعارك والأنس مقصدك ورضا الله غايتك.

وإن كنت مصممًا على الاستمرار في الطريق السيئ الذي اخترته لنفسك فالقبر يضمنا والقيامة تجمعنا ونقف بين يدي الله ﷻ للحساب على الفتيل والقطمير، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها، وخالق الناس بخلق حسن.

أولًا: النفخ في الصور: يقول ﷻ

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقال ﷻ ﴿ وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [النمل: ٨٧].

وقال ﷻ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [المدثر: ٨-١٠].

وقال ﷻ ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [يس: ٥١].

أما عن الأحاديث

فقال النبي:"قال الله ﷻ: شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، وكذبني وما ينبغي له أن يكذبني، أما شتمه إياي فيقول: إن لي ولدًا، وأما تكذيبه فقوله: لن يعيدني كما بدأني" أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة.

قال رسول الله:"كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفخ" أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد ورواه ابن ماجه

تبدأ القيامة يا أخي بالنفخ في الصور، فينفخ سيدنا إسرافيل في الصور، فيموت كل من على وجه البسيطة،

﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ﴾ [الزمر: ٦٨]،

ورأس البوق كعرض السماوات والأرض، أما قوله: إلا من شاء الله فهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يأمر الله ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل، ثم يأمر ملك الموت فيموت، ثم يلبث الخلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة، ثم يحيي الله ﷻ إسرافيل فيأمره أن ينفخ الثانية فذلك قوله

﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ۝٦٨ ﴾ [الزمر: ٦٨].

فتفكر في الخلائق وانكسارهم عند الانبعاث خوفًا من هذه الصعقة، ومن القلق الشديد الذي ينتابهم

مثِّل وقوفك يوم العرض عريانا * مستوحشًا قلق الأحشاء حيرانا
النار تزفر من غيظ ومن حنق * على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل * فهل ترى فيه حرفًا غير ما كانا؟
لما قرأت ولم تنكر قراءته * إقرار من عرف الأشياء عرفانا
قال الجليل خذوه يا ملائكتي * وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
يا رب لا تخزنا يوم العرض عليك * ولا تجعل لنارك فينا اليوم سلطانًا

الإنس والجن والطير والوحوش كلها ستحشر

﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ ﴾ [التكوير: ٥]، ثم أقبلت الشياطين المردة بعد تمردها وأذعنت خاشعة من هيبة العرض على الله، فتفكر في حالك في مثل هذا اليوم.

ثانيًا: أرض المحشر

انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة إلى أرض المحشر، وهي أرض بيضاء قاع صفصف، لا ترى فيها عوجًا ولا ترى عليها ربوة يختفي الإنسان وراءها، بل هو صعيد واحد لا تفاوت فيه، يساقون إليه زمرًا، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاق أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة، والراجفة هي النفخة الأولى، والرادفة هي النفخة الثانية.

قال رسول الله:"يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد". متفق عليه

والعفرة هي بياض ليس بالناصع، والنقي هو النقي عن القشرة والنخالة، ومعلم أي لا بناء يستتر خلفه

ولا تظنن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لا تساويها إلا في الاسم

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝٤٨ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قال ابن عباس: " يزاد فيها وينقص _يعني الأرض_ وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها وما فيها وتمد مد الأديم العكاظي، أرض بيضاء مثل الفضة، لم يسفك عليها دم ولم ترتكب عليها خطيئة، والسماوات تذهب شمسها وقمرها ونجومها".

فلتنظر يا أخي في هول ذلك اليوم وشدته وعظمته فإنه يوم تجمع الخلائق على هذا الصعيد تتناثر من فوقهم نجوم السماء وتطمس الشمس والقمر وتظلم الأرض لخمود سراجها.

قال رسول الله:"يحشرالناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانًا ومشاة وعلى وجوههم، فقال رجل يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم". رواه الترمذي وحسنه

فماذا أنت فاعل يا أخي وأنت واقف عاريًا مكشوفًا ذليلًا متحيرًا منتظرًا ما سيجري عليك من القضاء. فتعالَ معي لنصف صفة العرق.

ثالثًا: صفة العرق

قال ابن عمر: قال رسول الله:"يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه". متفق عليه

وقال أبو هريرة: قال رسول الله:"يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعًا ويلجمهم ويبلغ أذقانهم". رواه البخاري ومسلم في الصحيح

فتأمل يا أخي المسلم في عرق أهل المحشر في هذا اليوم العصيب حتى إن البعض يتمنى الانصراف ولو إلى النار، واعلم أن كل عرق لم تخرجه الطاعة والتعب في الحج والصيام والقيام والصلاة وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل المشقة فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب، فاعرق في الصلاة واعرق في أعمال الخير ولترهق الجسد في خدمة المسلمين والمسلمات وقضاء مصالحهم وجميع العبادات، فالعرق الذي تختزله هنا والراحة التي ترتاحها هنا سيفيض هذا العرق يوم القيامة

رابعًا: طول يوم القيامة

قال كعب وقتادة في قوله ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [المطففين: ٦].

قالا: يقومون مقدار ثلاثمائة عام. بل قال عبد الله بن عمر: تلا رسول الله هذه الآية ثم قال: كيف بكم إذا جمعكم الله كما تجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة ولا ينظر إليكم؟". رواه الطبراني في الكبير

وقال الحسن: ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة، احترقت أجوافهم جوعًا وكلما تعلق بنبي دفعهم إلى غيره وقال دعوني نفسي نفسي شغلني أمري عن أمر غيري، واعتذر كل واحد

بشدة غضب الله ﷻ وقال قد غضب اليوم ربنا غضبًا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله، حتى يشفع نبينا لمن يؤذن له فيه. فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته في الصبرعن الشهوات فإنه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة، فالأمر إليك أخي المسلم، والاستعداد بيديك فاعمل في أيام قصار لأيام طوال.

خامسًا: صفة يوم القيامة ودواهيه وأساميه

فاستعد يا أخي لهذا اليوم العظيم. السماء فيه قد انفطرت والكواكب من هوله قد انتثرت والنجوم قد انكدرت والشمس قد كورت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت والوحوش قد حشرت والبحار قد سجرت والنفوس قد زوجت والجحيم قد سعرت والجنة قد أزلفت والجبال قد نسفت والأرض قد مدت

يقول رسول الله حينما سأله الصديق: أراك قد شبت يا رسول الله؟ فيقول:" شيبتني هود وأخواتها وهي الواقعة والمرسلات وعم والتكوير". أخرجه الترمذي

أما عن أسماء القيامة فنحن الآن نجمع لك أساميها

وهي **يوم القيامة، يوم الحسرة، يوم الندامة، يوم القارعة، يوم المسألة، يوم الغاشية، يوم الآزفة، يوم الصاخة، يوم الفراق، يوم التنادي، يوم العذاب، يوم الفرار، يوم اللقاء، يوم القضاء، يوم البلاء، يوم البكاء، يوم الحسرة، يوم العرض، يوم الدين، يوم القلق،

يوم العرق، يوم الميعاد، يوم النفخة، يوم الرجفة، يوم المرصاد، يوم الخلود، يوم التغابن، اليوم المشهود، يوم تبلى السرائر، يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئًا، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه، يوم تبرز الخفيات وتظهر الخطيئات ...إلخ.

فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم حين أغلقت الأبواب وأرخيت الستور؟!

فتدبر يا أخي معاني القرآن وأنت تقرأه

يقول ﷻ ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ ﴾ [الأنبياء: ١].

ويقول ﷻ ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾ [القمر: ١].

سادسًا: صفة المسألة

قال أنس رضي الله عنه:" كنا مع رسول الله فضحك ثم قال: أتدرون مم أضحك؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال يقول: بلى، قال فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا، فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي، قال فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه بعدًا لكنَّ وسحقًا؛ فعنكن كنت أناضل". رواه مسلم

ويقول أبو هريرة: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب؟ قالوا لا، قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا لا، قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم، فيلقى العبد فيقول له: ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأَذَرْك ترأس وتربع؟ فيقول العبد بلى، فيقول: أظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول لا، فيقول فأنا أنساك كما نسيتني". متفق عليه دون قوله فيلقى العبد.

قال رسول الله:"ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان". متفق عليه من حديث ابن عدي عن أبي حاتم

صفة الميزان

عن أنس ﵁ قال:"يؤتى بابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا، وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا، وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديها مقامة من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار". رواه البيهقي

وروى الحسن:"أن رسول الله كان رأسه في حجر عائشة ﵂ فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سال دمعها فنقط على خد رسول الله فانتبه فقال: ما يبكيك يا عائشة؟ قالت ذكرت الآخرة، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: والذي نفسي بيده في ثلاثة مواطن، فإن أحدًا لا يذكر إلا نفسه؛ إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أيخف ميزانه أم يثقل، وعند الصحف حتى ينظر أبيمينه يأخذ كتابه أو بشماله، وعند الصراط". أخرجه أبو داود من رواية الحسن، وإسناده جيد

الصراط

قال أبو سعيد الخدري:"قال رسول الله:"يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف تخطف الناس يمينًا وشمالًا وعلى جانبيه ملائكة يقولون: اللهم سلم، اللهم سلم، فمن الناس من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر كالريـح، ومنهم من يمر كالفرس المجري، ومنهم من يسعى سعيًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يحبو حبوًا، ومنهم من يزحف زحفًا، فأما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون ولا يحيون، وأما ناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون فحمة ثم يؤذن في الشفاعة". متفق عليه مع اختلاف اللفظ.

الشفاعة

قال رسول اللهِ: " أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجدًا وترابها طهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأعطيت الشفاعة، وكل نبي بعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة". متفق عليه من حديث جابر

وقال رسول اللهِ:"إذا كان يوم القيامة كنت أمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر". رواه الترمذي

وقالﷺ:"أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، وأنا أول شافع وأول مشفع، بيدي لواء الحمد، تحته آدم فمن دونه". أخرجه الترمذي

الحوض

قال سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾ [الكوثر: ١]. ولما نزلت هذه السورة قال رسول اللهِ: إن الكوثر هو نهر في الجنة، حافتاه من الذهب، شرابه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان". أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح ورواه الدارمي في مسنده

صفة جهنم وأهوالها

قال ﷻ:

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾

[مريم: ٧١-٧٢].

فما أصعب المرور على جهنم أخي في الله! وكيف ننجو منها وفي قلوبنا هول من ذلك الورد؟ فعساك تستعد للنجاة!

قال رسول الله:"اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها في نفسين؛ نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدونه في الصيف من حرها وأشد ما تجدونه في الشتاء من زمهريرها". متفق عليه

وقال رسول الله:"لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم". أخرجه الترمذي

وصرح رسول الله بصفة نار جهنم فقال:"أمر الله ﷻ أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة".

صفة الجنة

قال رسول الله:"إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًّا. وفي رواية: حلة زوجه سبعون حلة". متفق عليه

وقال رسول الله:"إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويًّا". أخرجه البزار بإسناد صحيح

صفة النظر إلى وجه الملك ﷻ

قال سبحانه وتعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس: ٢٦].

قال رسول الله:"إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى منادٍ يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، قالوا ما هذا الموعد؟ ألم يثقل موازيننا؟ ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل، فما أُعطُوا شيئًا أحب إليهم من النظر إليه". رواه مسلم

سعة رحمة الله

يروى أنه " إذا كان يوم القيامة أخرج الله ﷻ كتابًا من تحت العرش فيه أن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين، فيخرج من النار مثل أهل الجنة". متفق عليه

وقال رسول الله:"إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا بلى، فيقولون: ما أغنى عنكم إسلامك إذ أنتم معنا في النار. فيقولون: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها، فيسمع الله ﷻ ما قالوا فيأمر بإخراج من كان في النار من أهل القبلة، فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا، ثم قرأ رسول الله ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ٢ ﴾ [الحجر: ٢]" أخرجه النسائي في الكبرى من حديث جابر، إسناده صحيح

وبعد هذا العرض كله إخوتي، أبشركم بهذا الحديث: قال أبو ذر: قال رسول الله:"عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة. فقلت يا جبريل وإن سرق وإن زنى؟ قال نعم، وإن سرق وإن زنى، قال: وإن سرق وإن زنى؟ قال وإن سرق وإن زنى، قلت وإن سرق وإن زنى؟ قال: وإن سرق وإن زنى وإن شرب الخمر". متفق عليه

فهذه الأحاديث وما أوردناه في هذا الموضوع يبشر بسعة رحمة الله ﷻ، فنرجو من الله أن يعاملنا بما هو أهله ولا يعاملنا بما نحن أهله؛ فهو أهل التقوى وأهل المغفرة. فلا تيئس من رحمة الله،

فإنك مقبل على كريم لا يرد من قصده، ولكن جاهد نفسك وجاهد شهواتك واجعل لك علاقة بالله، وظن بالله الخير دائمًا، ولكن عليك بالأعمال الصالحات حتى تلحق بركب الصالحين وتكون في المكرمين يوم القيامة يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء، لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب.

الغيبة والنميمة

مقدمة:

الحمد لله الذي شرفنا بكتابه العزيز لنعمل بما شرع لنا فيه ونقف عند حدوده ونواهيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنتقم ممن عصاه والمنزل غضبه على الذين يغتابون وينهشون أعراض خلق الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، لم يترك لنا شعيرة من الشعائر إلا بينها وجلاها ولا كبيرة من الكبائر إلا نبه عليها وحذرنا منها، فاللهم صل وسلم وزد وبارك عليه وعلى آله وصحبه الأخيار.

أما بعد ...

قال ﷻ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾

[الحجرات: ١٢].

أحبتي في الله، إن الغيبة من أخبث الصفات وأقبح الأفعال وأسوأ الأقوال، وقد بينها رسول الله ﷺ بقوله:" أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أرأيت إن

كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته". رواه مسلم

وقال الحسن: ذكر الغير ثلاثة: الغيبة والبهتان والإفك. وكل ذلك في كتاب الله؛ فالغيبة أن تقول ما فيه، والبهتان أن تقول ما ليس فيه، والإفك أن تقول ما بلغك.

قال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته حيًّا.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت:" قلت يا رسول الله، حسبك من صفية كذا وكذا. تعني أنها قصيرة. فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته _أي أنتنته وغيرت ريحه_ ". رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح

فلتعلم يا أخي أن الغيبة أشد من الزنى، وقد قال في ذلك الحبيبﷺ:"الغيبة أشد من الزنى، قيل وكيف؟ قال: الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه". رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي والطبراني

وروي أن ماعزًا الأسلمي جاء إلى النبي فشهد على نفسه بالزنى فرجمه النبيﷺ، فسمع الرسول رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم يدع نفسه حتى رجم رجم الكلب. فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله، فقال: أين فلان وفلان؟ قالا: نحن ذا يا رسول الله، فقال لهما: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يا رسول الله

غفر الله لك، ومن يأكل من هذا؟ فقال رسول الله: ما نلتما من عرض هذا الرجل آنفًا أشد من أكل هذه الجيفة، فوالذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهارالجنة ينغمس فيها. رواه مسلم

فالغيبة تحبط الأعمال والثواب فما جاء في الحديث "أن الرجل ليؤتى كتابه منشورًا فيقول: يا رب أين حسنات كذا وكذا عملتها وليست في صحيفتي؟ فيقول المولى ﷻ: محيت باغتيابك الناس "رواه الأصبهاني

وورد ما النار في اليابس لأسرع من الغيبة في حسنات العبد.

وروي أن رجلًا قال للحسن: بلغني أنك تغتابني، فقال: ما بلغ قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي.

وعن جابر قال: كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح منتنة فقال: أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين". رواه ابن أبي الدنيا وأحمد، ورواته ثقات

وقد قيل لبعض الحكماء ما الحمكة في أن ريح الغيبة ونتنها كانت تتبين في عهد النبي ولا تتبين في يومنا هذا؟ قال: لأن الغيبة قد كثرت في يومنا فامتلأت الأنوف منها فلم تتبين نتن الرائحة. ومثال هذا مثال رجل دخل دار الدباغين لا يقدر على الإقامة فيها من شدة الرائحة وأهل تلك الديار يأكلون فيها ويشربون ولا تتبين لهم تلك الرائحة؛ لأنه قد امتلأت أنوفهم منها، كذلك الغيبة في يومنا هذا.

فيا أخي ويا أختي، المستمع للغيبة شريك القائل وهو أحد المغتابين، فالمستمع في الخير شريك في ثوابه والمستمع في الشر شريك في إثمه، فعلى المؤمن أن يرد عن عرض أخيه في الغيبة فإن لم يستطع الرد عن عرض أخيه فعليه أن يغادر ذلك المجلس؛ فقد قال الحبيب المصطفى: "من رد عن عرض أخيه بالغيب كان حقًّا على الله أن يعتقه من النار". رواه الطبراني

فلا تنس قوله ﷺ:"كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه "رواه مسلم وغيره

فاتق الله أيها المسلم وإياك أن تذكر أحدًا بما يكره، فلتجتنب معايب الناس وفكر في نفسك تجد فيها عيوبًا ربما كانت أبشع مما تذكر، واستحي أن تذم غيرك بما أنت متلبس به فقد قالﷺ: "طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس " رواه البزار

ولتعلم يا أخي أنه لولا رداء من الله اسمه الستر لانحنت أعناقنا من شدة الخجل، فلا تعِبْ والعيب فيك يسري

وقد قال سفيان بن الحصين: كنت جالسًا عند إياس بن معاوية فمر رجل فنلت منه، فقال: اسكت، ثم قال لي سفيان: هل غزوت مع الروم؟ قلت: لا، فقال: هل غزوت مع الترك؟ قلت: لا، قال: سلم منك الروم والترك، ولم يسلم منك أخوك المسلم، قال: فما عدت إلى ذلك بعد.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سُئِلَ رسول اللهﷺ: أي المسلمين أفضل؟ فقال: من سلم المسلمون من لسانه ويده". أخرجه

البخاري

وقوله ﷺ: " إن العبد ليتكلم الكلمة من رضوان الله ﷻ ما يلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ﷻ لا يلقي لها بالًا يهوي بها في جهنم". رواه البخاري

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابكِ على خطيئتك " أخرجه الترمذي وأحمد وذكره الألباني في الصحيحة

وقد قال يحيى بن معاذ: ليكن حظ المسلم منك ثلاثًا: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه.

فيا أخي ويا أختي، لم تضيع حسناتك بكل سهولة؟ ولمَ تشغل بالك بما لا يعنيك؟ يجلس كل منا مع صديقه أو صديقته ويتكلمون بكلام لا يرضي الله ﷻ في حق أخيه المسلم فيغتابه. فانظر معي إلى توجيه النبي ﷺ للسيدة عائشة رضي الله عنها عندما نعتت السيدة صفية بأنها قصيرة، لم يسكت النبي بل رد عليها وصوب لها خطأها وقال لها: لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحار لمزجتها. فيا إخوتي، إنكم قد تتكلمون بكلمة بسيطة وهناك الكتبة الكرام يكتبون ويسجلون كل لفظ وكل حرف ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ ﴾ [ق: ١٨]. فلا تكثر خصومك يوم القيامة وحافظ على صحيفة الحسنات من الآن.

فلا تجعل حديث المفلس يصيبك. فقد روى مسلم والترمذي أنه ﷺ قال:" أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال ﷺ: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار".

ولما عرج برسول الله قال:"مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا أخي يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم". رواه أبو داود

فقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية حينما قال: إنه من العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنى وغيره، ويصعب عليه التحفظ على حركة لسانه. فكم من رجل نراه متورعًا عن الفحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول!!

أما عن النميمة

فالنميمة يا إخوتي هي نقل الحديث على جهة الإفساد، وقد قال المولى ﷻ في كتابه العزيز فيمن يتصف بالنميمة

﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ ﴾ [القلم: ١١].

وعن حذيفة ؓ قال: قال رسول الله:" لا يدخل الجنة نمام". رواه البخاري ومسلم

وقد مر النبي ﷺ بقبرين فقال: "إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، بلى إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله ". رواه البخاري ومسلم

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ:" تجدون الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وتجدون خيار الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية، وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه". متفق عليه.

فكيف نتعامل مع أهل النميمة

-لا نصدقه لأنه فاسق ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ [الحجرات: ٦].

-أن ننهاه عن ذلك ونأمره بالمعروف.

-ألا تظن بأخيك الغائب السوء.

-إذا جلست في مجلس لا تنقل الحديث الذي دار في مجلس غيره.

وقد قال رجل لعمرو بن عبيد: إن الأسواري ما زال يذكرك في قصعة بشر، فقال عمرو: يا هذا، ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت لنا حديثهم، ولكن أعلمه أن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

وقال حماد بن سلمة: باع رجل عبدًا وقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النميمة، فقال المشتري: رضيته، فاشتراه فمكث الغلام أيامًا ثم قال لزوجة مولاه إن سيدي لا يحبك وإنه يريد أن يتزوج عليك، فخذي موسى واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك، ثم قال للزوج إن زوجتك اتخذت خليلًا وتريد أن تقتلك، فتناوم لها، فجاءت المرأه بالموسى فظن الزوج أنها تريد قتله، فقام إليها فقتلها، فجاء أهل المرأة وقتلوا الزوج، فوقع القتال بين القبيلتين.

وإليكم أيضًا هذه القصة...

روى كعب الأحبار أن بني إسرائيل أصابهم قحط فاستسقى موسى عليه السلام مرات فما سقوا، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه أني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة، فقال موسى عليه السلام: من هو؟ دلني عليه حتى أخرجه من بيننا، فقال المولى عز وجل: يا موسى، أنهاكم عن النميمة وأكون نمامًا؟ فتابوا جميعًا وسقوا.

فبعد هذا العرض إخوتي، أود أن أقول لحضراتكم إن الحسنة غالية وفقدها أسهل ما يكون. تفقدها بكلمات تقولها عن أخيك المسلم، فلو أنك فعلت مثلًا مائة حسنة في اليوم ثم تكلمت عن أخيك في مجلس فما مصير هذه الحسنات؟؟ فالغيبة أسرع في أكل الحسنات من أكل النار في الحطب. فلتمسك عليك لسانك. فبلاء الإنسان يكمن في اللسان.

وأختم معكم بقول الشافعي:

إذا رمت أن تحيا سـليمًا من الأذى * ودينـك موفور وعرضـك صـين

فلا يقعن منك اللسـان بسـوأة * فكلـك سـوءات وللنـاس ألسـن

وعينـك إن أبـدت إليـك معـايبًا * فـدعها وقـل: يا عين، للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى * ودافـع ولكـن بـالـتي هي أحسـن

□

حرمة الدماء

الحمد لله ذي العز المجيد، والبطش الشديد، المبدئ المعيد، الفعال لما يريد، دل على ذاته لذاته، وشهدت لوحدانيته جميع مخلوقاته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد عرف قدر ربه، وقدره حق قدره، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في سبيل ربه حتى أتاه اليقين.

أما بعد ...

أحبتي في الله، إن الإنسان خليفة الله في الأرض، استخلفه فيها لكي يعبده ويوحده ويقيم المبادئ والقيم والمثل العليا

فقد قال المولى ﷻ ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقال سبحانه وتعالى ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة: ٣٢].

وقال ﷻ ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ٣٣ ﴾

[الإسراء: ٣٣].

وقال رسول الله: " قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا". رواه النسائي

وقالﷺ:"لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله في النار". رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات". رواه البخاري

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال:" من حمل علينا السلاح فليس منا". رواه مسلم

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال:" لا يشر أحدكم على أخيه السلاح؛ فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من نار". رواه البخاري

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من أشار إلى أخيه بحديدة؛ فإن الملائكة تلعنه حتى يدعها، وإن كان أخاه لأبيه وأمه". رواه مسلم

والمعنى في ذلك وإن كان هازلًا ولم يقصد به ضربه.

فيا إخوتي في الله، إن الله ﷻ قد كرم الإنسان تكريمًا كبيرًا، فقد خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، وأرسل له الرسل ليأخذوا بيديه إلى الحق، وأنزل من أجله شريعة تضمن له السعادة في الدنيا والآخرة.

فلا يجوز لأحد أن ينتهك حرمته أو يستبيح دمه، وقد جعل الإسلام ضرب النفس كبيرة وقد حدد النبي الكريم في الحديث الصحيح " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا لإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة " رواه البخاري ومسلم

وهذا كله يقوم به القاضي ولا يقوم به الفرد العادي.

وقال رسول الله ﷺ:" لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا". رواه البخاري

ويقول ابن عمر: إن من مورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله.

وقال رسول الله ﷺ:" من أمن رجلًا على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل وإن كان المقتول كافرًا". رواه البخاري والنسائي

فيا أخي المسلم، ماذا تقول لربك غدًا إذا وقفت بين يدي ملك الملوك وجبارالسماوات والأرض؟ وقد أخذت صحيفتك التي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة، وينادى عليك: أيها القاتل المجرم، يا من سفكت دماء المؤمنين الموحدين، فتأتي فردًا عاريًا لا سلطان لك

ولا مال معك لتفتدي به، وقد أحاط بك من كل ناحية من قتلته في الدنيا، وقد تعلقوا بك وأعناقهم تسيل دمًا ويقولون لله جل وعلا: سل هذا القاتل فيم قتلنا؟ كما جاء في الحديث " يجيء المقتول متعلقًا بالقاتل تشخب أوداجه دمًا فيقول: أي رب، سل هذا فيم قتلني". رواه النسائي

فيا من يستهين بدماء المسلمين، إن هذه الدماء غالية عند الله ﷻ، وقد قال الرسولﷺ:" إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار".

فكيف تقتل أخاك الإنسان مسلمًا كان أوغير مسلم؟؟ لماذا لا نعيش في سلام وطمأنينة كل له دينه وكل له معتقده؟ فقد جاء في القرآن الكريم ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ [الكافرون: ٦].

وختامًا مع قول الشاعر عيسى الناعوري وهو شاعر فلسطيني، هذه الأبيات الجميلة في الأخوة

أخي في العالم الواسع * في المغرب والمشرق
أخي الأبيض والأسود * في جوهرك المطلق
أمد يدي فصافحها * تجد قلبي بها يخفق
لقد جئنا إلى الدنيا معًا * لنعيش إخوانا
ونسعد بالحياة معًا * أحباء وأعوانا
ولو شئنا أحلنا * جنة الفردوس دنيانا
فهيا يا * أخي الإنسان

أسال الله ﷻ أن يرفع الهم والغم عن البشرية جمعاء، وأن يغفر لنا ما قد يحول بيننا وبين رحمته.

مقتطفات

أسرد عليكم أحبتي مقتطفات من الحكم والأقوال من حياة الصحابة والصالحين، لعلنا ننتفع بها ويكون لها الأثر في قلوبنا ونطبقها في أعمالنا.

قال الإمام علي: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، مات خزان المال وهم أحياء، وأهل العلم باقون ما بقي الدهر.

قال أحد الصالحين: من قعد به القصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار فسبيله أن يعالج نفسه بسماع الأخبار والآثار.

إن تفريق البسمات إلى فقراء الأخلاق لصدقة جارية في عالم القيم.

من استغرق في الذكر فقد أوتي منشور الولاية.

وإليكم قصة في الوفاء

روي أن خدم بعض الملوك التقطوا طفلًا وجدوه مطروحًا في الطريق، فأمر الملك أن يضموه إلى أهل بيته وسماه أحمد اليتيم، فلما نشأ وكبر ظهرت عليه أمارات النجابة والذكاء، فهذبه وعلمه، ولما حضرته (الملك) الوفاة أوصى ولي عهده به فضمه إليه

واصطفاه وأخذ عليه العهد أن يكون له وفيًّا وخادمًا أمينًا. وبعد ذلك قدمه في أعماله فصار حاكمًا على جميع حاشية الأمير ومتصرفًا في شئون قصره، وفي يوم من الأيام أمره الملك أن يحضر له شيئًا من حجرته، فذهب ليحضر ما أُمر به فرأى جارية من جواري القصر مع شاب من الخدم يزنيان، فتوسلت إليه الجارية أن يكتم الخبر، ووعدته أن تلبي كل ما يطلب، وراودته عن نفسه لتأمن شره، فقال: معاذ الله أن أخون الأمير وقد أحسن إليَّ، ثم تركها وانصرف على أن يكتم السر. لكن الجارية أوجست في نفسها وتوهمت بأنه سيفشي أمرها فذهبت للأمير باكية شاكية، فسألها: ما خبرها؟ فقالت إن أحمد اليتيم راودها عن نفسها، وكان يريد أن يقهرها على الزنى. فلما سمع الأمير ذلك غضب بشدة فعزم على قتله، فدبر له أن يقتله في الخفاء حتى لا يعلم الناس بسبب القتل، فقال لكبير خدمه إذا بعثت لك أحدًا يطلب منك كذا فاقطع رأسه وابعث به إليَّ لأطمئن، ثم ادفن الجثة. فأجاب الخادم بالسمع والطاعة. وفي يوم من الأيام أحضر الأمير أحمد وأمره أن يذهب إلى كبير الخدم ويحضر منه كذا وكذا، فامتثل أحمد لأمر الأمير وذهب إلا أنه لقي في طريقه بعض الخدم فأرادوا أن يحكِّموه بينهم في أمر فاعتذر وقال إنه مكلف بقضاء أمر للأمير، فقالوا نبعث فلانًا الخادم نائبًا عنك ليحضر ما تطلب حتى تفصل في شأننا. فأجابهم إلى ما طلبوا فأرسلوا واحدًا منهم وهو الشاب الذي سبق له الزنى بالجارية، فلما ذهب وأخبر كبير الخدم برسالة الأمير أخذه إلى المكان الذي أعدَّه وقطع رأسه على غرة، وجاء برأسه إلى الأمير،

فلما أبصرها الأمير زال عنه ما كان يجده من انقباض نفسه، ولكن لما رفع الغطاء عنه رأى رأسًا غير رأس أحمد اليتيم، فسأله عن الذي قتله فقال هو فلان، قال الأمير ألم يكن أحمد؟ فقال: لا. فأمر بإحضار أحمد، فسأله عما فعل فأخبره بما كان، فقال الأمير: أتعرف لهذا الخادم ذنبًا؟ قال نعم، إنه فعل كذا وكذا مع فلانة وقد سألوني بالله وبك أن أكتم الخبر، فلما سمع الأمير ذلك أمر بقتل الجارية، وعاد إلى ما كان عليه من محبة أحمد وإكرامه. وكانت هذه عاقبة الوفاء للوفي وعاقبة الخيانة للخائن، والجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد. من كتاب هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ.

والله الموفق

الخاتمة...

وفي ختام هذا الكتاب بعد أن تعايشنا بقلوبنا وأرواحنا مع هذه الإيمانيات، نسأل الله ﷻ أن يجمعنا في جنته مع الأنبياء والصالحين وأن يرزقنا صحبة سيد ولد آدم، وأن يرزقنا جميعًا حسن الخاتمة، وأن يجعل قبورنا روضة من رياض الجنة، وأن يتم علينا النعمة بالنظر إلى وجهه الكريم، وأن يدخلنا الجنة بسلام. فمن استفاد من هذا الكتاب فأرجو ألا يبخل عليَّ وعلى والدي بدعوة عسى أن تنفعنا وأن تكون في ميزان حسناتنا يوم نوضع في الأكفان ونوارى في التراب.

هذا وإن كان هناك توفيق فمن الله، وإن كان هناك خطأ فمني ومن الشيطان، وأعوذ بالله أن أكون جسرًا على جهنم تعبرون عليه ثم يطرح بي في النار، وأسأل الله ﷻ أن يجبر خاطرنا جميعًا ويرفع قدرنا ويوفقنا للخير حيث كان، وأن يعم السلام والستر والعافية على المسلمين أجمعين وأن يرفع البلاء عن الأمة، وأن يسدد خطانا. وفقنا الله وإياكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العبد الفقير إلى ربه سعد صبرة نظير.

المراجع

١ القرآن الكريم

٢ صحيح البخاري

٣ هداية المرشدين للشيخ علي محفوظ

٤ الترغيب والترهيب للحافظ أبي محمد زكي الدين عبد العظيم

٥ هداية الأمة المحمدية في الحكم المحمودية السنية لمحمود محمد خطاب السبكي

٦ مختصر صحيح تفسير ابن كثير لأبي عبد الله مصطفى بن العدوي

٧ رجال حول الرسول لخالد محمد خالد

٨ شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين لمحمد بن صالح

٩ إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي

١٠ سلاسل الذهب للإمام بدر الدين الزركشي

١١ قصص الأنبياء لمحمود المصري

فهرس